روايات الهلال

سُكّر مُر

محمود عوض عبد العال

سلسلة شهرية لنشر القصص العربي والعالمي تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالي محمد

رئيس التحرير
سعد القرش

مدير التحرير
هالة زكي

المستشار الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير
وجدان حامد

الإدارة
القاهرة: ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة.
القاهرة. الرقم البريدي ١١٥١١
. تلغرافيا: المصور. القاهرة
ج.م.ع.
تلكس:
hilal u n ٩٢٧٠٣ Telex
فاكس: FAX: ٣٦٢٥٤٦٩

ثمن النسخة
سوريا ١٢٥ ليرة -
لبنان ٨٠٠٠ ليرة -
السعودية ١٢ ريالا-
البحرين ١,٢ دينار-
قطر ١٢ ريالا -
الإمارات ١٢ درهما -
اليمن ٥٠٠ ريال -
فلسطين ٢دولار

تصميم الغلاف: محمود الشيخ
لوحة الغلاف: د. فاروق شحاتة

الاشتراكات
قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفريقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يناير ١٩٤٩

البريد الإلكتروني: helalmag@yahoo.com
البريد الإشتراك: subscription_dep@yahoo.com

طبع هذا العدد بأحبار باكين
باكين

الكتاب: سكر مُر
المؤلف: محمود عوض عبدالعال
التصنيف: رواية
الناشر: روايات الهلال - دار الهلال
رقم الإيداع: ١١٦٠٩ / ٢٠١٥
الترقيم الدولى: 978-977-07-1705-9

سُكر مُرّ

رواية

محمود عوض عبد العال

دار الهلال

٢٠١٥

تنبيه

تنبيه
على
الغلط الواقع في هذه المسألة

٥/١٠٢

مقدمة بأقلام
د. حمدي السكوت
د. عبد الحكيم حسان
الناقد فاضل تامر

الاتجاه الجديد في الرواية العربية

د. عبد الحكيم حسان

يخيل إليَّ أننا نظلم رواية " سكر مر " ومؤلفها محمود عوض عبد العال حين نحاول تقييمها والحكم عليها على أساس من القواعد النقدية التقليدية . فالقواعد النقدية إنما استحدثت من الأعمال الأدبية ، فالأدب سابق على النقد وهذا ما تفسره لنا كثرة الشطب والتغيير والتعديل والتبديل مما يقوم به الشعراء والكتاب عادة في مسودات إنتاجهم .. ومعنى هذا فإن العمل الأدبي من حقه أن يخرج على بعض القواعد الأدبية المتعارف عليها شريطة أن ينجح في تحديد اتجاهات فنية جديدة من الصلابة والقوة بحيث يصلح أساساً لقواعد نقدية جديدة ينقد على أساسها العمل الأدبي .

ورواية " سكر مر " ليست عملاً أدبياً تقليدياً ، ولو نظرنا إليها بهذا الاعتبار فإننا – فيما يبدو لي– نحرمها من أثمن مقوماتها ونتركها فراغاً يصفر .

فالرواية ليست تقليدية في موضوعها ، وإلا لأمكن أن نقول مثلاً إنها تعالج موضوع الجاسوسية أو أنها رواية نفسية تحاول الكشف عن جانب من جوانب الحياة الإنسانية ، إذ أنها تعالج مشكلة تاريخية أو مشكلة ضحية من ضحايا المجتمع أو غير ذلك مما نجده في الروايات الأخرى على اختلاف مستوياتها في معالجة مثل هذه الموضوعات .

فلو افترضنا أن الرواية تدور حول أي من هذه الموضوعات على سبيل التحديد لاصطدمت بهذا أو ذاك من المبادئ النقدية التي تكاد تكون موضع تسليم عام .

فلو كان موضوعها الجاسوسية لكان عصام هو بطل الرواية ولواجهت الرواية إذن مشكلة اختفاء البطل قبل انتهائها أو بعبارة أخرى مشكلة استمرارها بعد اختفاء البطل .

ولألغى بذلك الدور الرئيسي الذي يقوم به الشاعر إبراهيم زنوبيا الذي لا تعدو الرواية أن تكون سلسلة من خطرات وعيه .

ولو افترضنا أن الرواية مجرد رواية نفسية لواجهتها مشكلة تفكك شخصياتها وعدم ارتباط بعضهم ببعض في مشكلة نفسية واحدة يرتبط كل منهم بها ارتباطاً ما.

ولو افترضنا أن موضوعها تاريخي لواجهتها مشكلة عجز الرمز عن عرض الموضوع أمام القارئ بسبب الانفكاك بين طرفيه انفكاكاً يبلغ درجة الاستغلاق .

ولو افترضنا أنها تعالج قضية لضحية من ضحايا المجتمع لوجدنا أنفسنا أمام مجموعة من الضحايا الذين لا نعرف لهم جانباً ضحى بهم ولاستحقت قضية كل منهم أن تقيد ضد مجهول بدلا من أن تعرض في عمل أدبي .

الذكاء المركزي:

والرواية ليست تقليدية في طريقة عرضها حتى حين نقيسها بمستوى تيار الوعي ، فالقارئ يقف على تيارات الوعي في نفوس الشخصيات المختلفة للرواية من خلال تيار وعي إحداها وهي شخصية الشاعر إبراهيم زنوبيا الذي يعتبر مركز الرواية من حيث ظاهرها ومن حيث باطنها على السواء.

أما من حيث الظاهر فلأن الرواية تبدأ بجلوس إبراهيم زنوبيا في شرفة شركة الطيران التي يعمل موظفا بها يحتسي كوبا من الشاي وتنتهي بسقوطه من فوق كرسيه بعد ساعة ونصف فاقداً الوعي . وأما من حيث الباطن فلأن إبراهيم مجرد جهاز خيالي يعرض أمامنا أو حتى أمام نفسه تيارات الوعي للشخصيات الأخرى في الرواية بل كان كذلك شخصية رئيسية فيها لها تيار وعيها الخاص الذي كان بمثابة الخيط الذي ينتظم التيارات الأخرى .

من هنا جاءت تلك النظرة إلى الرواية باعتبارها ثورة في (التكنيك) الروائي وجاء ذلك التشبيه لإبراهيم زنوبيا بعصا موسى التي لقفت الحيات الأخرى واستوعبتها .

نحو رواية جديدة:

والرواية ليست تقليدية في لغتها ، فقد صيغت في أكثر مقاطعها في لغة رمزية بدت موغلة في الرمز في صحبة تيار الوعي الذي يبدو لأول وهلة مجموعة مفككة من الخطرات النفسية . ومن هنا جاء ذلك الغموض الذي كان موضع شكوى كثير من القراء والنقاد .

والرواية -أخيراً - ليست تقليدية في شخصياتها ولو نظرنا إليها بهذا الاعتبار لاصطدمت بمشكلة عدم وضوح الشخصيات ، فليس من بين شخصيات الرواية شخصية واحدة يمكن للقارئ أن يكون عنها فكرة واضحة باعتبارها شخصية متكاملة فالشخصيات لا تعدو أن تكون مجموعة من الأشباح المتحركة لا نراها بوضوح ولكننا مع ذلك ندرك قليلا من خصائصها بوضوح .

الأصالة في الرواية:

وإذا لم تكن الرواية تقليدية في أي جانب من هذه الجوانب فإن هذا يعني أن من الظلم أن نقيمها أو أن نصدر عنها أحكاماً نقدية على أساس من الأصول التقليدية للنقد .

ولو فعلنا لقلنا أن المؤلف لم يقل شيئاً ولم يصنع شيئا يتناسب وذلك المجهود الذهني المضني الذي صبه في قالب هذه الرواية والذي فرض به على القارئ من الجهد الذهني أضعاف ما تتطلبه رواية تقليدية من المستوى الرفيع .

وليس من المعقول أن يضني المؤلف نفسه وقراءه معه لينتهي بنفسه وبهم إلى ما لا يتناسب مع جهودهم وبخاصة لأننا نستطيع أن نلمس -بالإضافة إلى هذا المجهود الذهني - براعة فنية في تحريك الشخصيات ودقة بالغة وغوصا عميقا على إكثر الأحاسيس شفافية واستعصاء على الرؤية وعنصرا دراميا يشعر القارئ بأن الأحداث تتحرك في اتجاه مرسوم حاملة القارئ معها عبر الزمان والمكان . ثم إحاطة شاملة بأدق ما يتصل بالشخصيات أو الأشياء مما رآه الكاتب ضرورياً لتوضيحها ولهذا جاءت الرواية كلا منسجماً في أدق تفاصيلها .

وليس من المعقول أن تكون كل هذه الإنجازات الفنية في الرواية موجهة لقول لا شيء، هناك شيء أراد المؤلف أن يقوله وقد وفر لهذا الشيء ما رآه لازما

للتعبير وعلى مستوى لا تنكر جدته ولا أصالته ويبقى على القارئ أن يضع يده على ذلك الشئ وعلى الناقد أن يحكم على قيمة ذلك الشيء من ناحية وعلى مدى جدوى طريقة الكاتب في التعبير عنه من ناحية ثانية .

وبعبارة أخرى فإن تحديد ذلك الذي أراد المؤلف أن يقوله ليس ضروريا لفهم الرواية على وجهها الصحيح فحسب ، بل وللاهتداء إلى تلك الأصول النقدية التي يمكن الحكم على الرواية وتقييمها على أساسها . فماذا أراد المؤلف أن يقول ؟

مجتمع الرواية:

هناك جانب من جوانب الرواية يظل يلح على ذهن القارئ أكثر مما يفعل ذلك أي جانب آخر منها وذلك الجانب هو تلك المجموعة من الشخصيات المتنوعة التي يتصل بعضها ببعض كل منها مدفوع بدوافع معينة يستطيع القارئ أن يقف عليها بسهولة في الرواية وعلى الرغم من وضوح هذه الدوافع ولعلها أوضح جوانب الرواية على الإطلاق لأن المؤلف يكشف عنها من خلال رصد حركات وعي شخصياته ، فإن سؤالا يبقى متردداً في ذهن القارئ يبحث لنفسه عن إجابة هو : ما الجامع الذي جمع بين هذه الشخصيات ؟ أو بعبارة أخرى هل كان اختيار المؤلف إياها قائما على أساس معين أم على مجرد الصدفة ؟ لا يمكن أن يكون ذلك قائما على الصدفة وإلا كنا أمام مسلسلة مما يعرض عادة على الإذاعتين المرئية والمسموعة لا يقصد به أكثر من عرض حياة مجموعة تلقائية من الناس في فترة زمنية معينة في شارع أو قرية أو ما أشبه ذلك ، وهو نوع من الأعمال لا يتخذ لنفسه موضوعا محددا وإنما موضوعه الحياة كلها في ذلك المكان المحدد .

والرواية ليست كذلك فشخصياتها تلتقي على أساس معين ، وذلك الأساس المعين هو موضوع الرواية وكل شخصية من الشخصيات لابد أن تكون على علاقة ما بذلك الأساس .

وذلك الأساس الذي يجمع فيما بين شخصيات الرواية " سكر مر " والذي يشكل موضوعها في نفس الوقت هو الضياع والبطلان والخلو من المعنى وانعدام الهدف الذي يستحق أن يحيا الإنسان من أجله ، إن كل شخصيات هذه الرواية تشترك

في انعدام وضوح الرؤية لما هو قيم وخير في الحياة ولهذا تقلصت أهداف كل منهم وتقوقعت في أمل باطل أو أمل وضيع .. إن حياتهم جميعا حياة بلا قيم. ولنكتف هنا بضرب الأمثلة فإبراهيم زنوبيا شاعر يقبع عشرات السنين في انتظار الشهرة التي لا تأتيه ، وحين يلوح له عصام كذبا بأمل خادع حين يخبره بأنه رأى له قصيدة منشورة منذ سنتين أو ثلاث في مجلة أو صحيفة ما ينفق الشهور من عمره بحثا عن المجلة الموهومة دون أن يصل إلى شيء بالطبع وعلى الرغم من أنه يرى في نفسه نبيا لإفريقيا لا يسمع صوته أحد ممن يسكنون معه في نفس العمارة وعلى الرغم من أنه يعتقد أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق فإننا نراه يشتهي تلميذته ماجدة ولا يحجم عن تحقيق رغبته إلا لاعتبارات خارجة عن إرادته.

فهو رمز لقلص المبادئ وصيرورتها ترابا والطالب الجامعي عصام ينحرف إلى الجاسوسية في السن التي تختلط فيها الوطنية بفورة الشباب فتظهر عادة قوية عنيفة صارمة أكثر مما تبدو كذلك في أية مرحلة من مراحل العمر ، وهو لا يتخلى عن وطنيته في سبيل مستوى معين من المعيشة على جبال لبنان بل هو يستدرج معه في الجاسوسية ناهد زميلته في الدراسة على وعد بالزواج منها وعلى الرغم من ذلك ومن اتصاله بناهد فهو لا يتورع عن الاتصال بمحروسة ابنة عم سلطان البواب التي يسميها الصاروخ الحافي كما يشتهي ماجدة التلميذة التي يدرس لها الشاعر اللغة العربية بل وأخت ناهد البلهاء .

إنه تجسيد لانعدام القيم وعدم التقيد بالمبادئ .

إبراهيم زنوبيا حبط عمله لإيمانه بمجتمعه ، وعصام حبط عمله لكفرانه بمجتمعه وأي مجتمع هذاالذي يستوي فيه الكفر والإيمان ؟

إبراهيم زنوبيا واليوت:

ليس إبراهيم زنوبيا وعصام إلا متلين لبقية شخصيات الرواية التي يشعر القارئ أنها تدب هنا وهناك كما تدب الحشرات ، إنهم يعيشون في عالم بلا مضمون ، عالم ضال حاد عن هدفه الصحيح فهو يدور حول نفسه لا يدري أين يذهب ، إنهم جميعاً يذكروننا في قوة فأولئك الرجال الهواء والجوف الذين تحدث

عنهم إليوت في قصيدة له بهذا العنوان فقال :

مظهـــر بلا شـــكل ، وظـــل بلا لـــون
قـــوة مشـــلولة ، وإيمـــاءة بلا حراك

كما يذكرنا عالم هذه الشخصيات بالعالم الذي وصفه إليوت أيضا في نفس القصيدة بقوله :

هذه أرض الموتى
هذه أرض الصبار
هنا ترفع التماثيل الحجرية
وتتلقى الضراعات من يد الإنسان الميت

وعلى الرغم من أن شخصيات الرواية جوفاء كأولئك الرجال الذين تحدث عنهم إليوت فإن أسباب الخواء مختلفة ، فإليوت يتحدث عن رجال ساروا في طريق التقدم العلمي والمادي بسرعة جنونية جعلتهم يخلفون وراءهم مثلهم وتقاليدهم فمشكلتهم إذن هي سرعة التقدم في اتجاه على حساب اتجاه آخر ، أما شخصيات الرواية فإن خواءها يرجع إلى التأخر في كل اتجاه : إلى التأخر العلمي ، والتأخر الثقافي ، التأخر الخلقي ، والتأخر المادي ، ويضاف إلى هذا التأخر .. كفران بكل قيمة ، وجمود لكل مثل أعلى ، والنتيجة انهيار وبطلان وخراب .

الغمـــوض ســـمة :

إذا صح أن هذا باختصار ما أراد أن يقوله المؤلف وأن هذه هي المشكلة التي أراد أن يعرضها فإننا نستطيع أن نلاحظ في ضوئه أن كثيرا من الأسئلة التي ثارت حول الجوانب المختلفة للرواية يمكن أن نجد الإجابة عليها .

خذ مثلا طريقة العرض أو (التكنيك) فقد كانت طريقة تتبع تيار الوعي لدى مختلف شخصيات الرواية هي الوسيلة الناجحة لإدراك ما تنطوي عليه هذه الشخصيات من خواء وما عسى أن تكونه الأسباب القريبة أو البعيدة التي نتج عنها خواؤها ، ولما كانت قضية الخواء في مجتمع ما قضية روحية عليا لا تخضع

لمقاييس العلم فقد كان من المناسب أن نتتبع تيارات الوعي للشخصيات المختلفة من خلال تيار الوعي لدى شاعر يشغل نفسه بقضايا مجتمعه بل وتمتد اهتماماته إلى ما يحيط بذلك المجتمع على أن مثل هذه الطريقة في العرض كانت تحتاج إلى مزيد من تلك التوجيهات التي يتحدث فيها المؤلف مباشرة إلى القارئ والمطبوعة في الرواية بخط صغير حتى يستطيع القارئ في يسر أن يعرف متى يبدأ تيار الوعي عند هذه الشخصية أو تلك ومتى ينتهي هذا بالإضافة إلى أن بعض هذه التوجيهات على قلتها لا تؤدي وظيفة ما .

من هنا ندرك أيضاً أنه رغم مثل هذه الهنات الصغيرة أسهمت في غموض الرواية فإن الغموض يعتبر سمة ملازمة من سمات مثل هذه الموضوعات .

الباطن والظاهر:

وفي ضوء هذا التحديد ندرك أن مثل هذه الشخصيات لا يمكن أن يحكم على تصويرها فنياً بالطريقة التي يحكم بها على تصوير الشخصيات العادية فباطن هذه الشخصيات هو كل ما يهم منها وليس من باطنها مهما . وإنما ذلك الجانب الذي يكشف لنا عن ذلك الفراغ المدوي في داخلها وإذا كانت هناك إشارات إلى ظاهر هذه الشخصيات من حركة وسلوك فإن ذلك في حدود ارتباط هذا الظاهر بالخواء الباطني وارتباط السبب بالنتيجة ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تفهم تلك الإشارات إلى جانب من تاريخ بعض الشخصيات من أمثال عصام ومسيو نانا وماجدة وغيرهم .

وفي ضوء استخدام تلك اللغة الشفرية الرمزية التي عمد إليها المؤلف فالشعراء لم يلجأوا إلى الرمزية إلا لإيمانهم بأن هناك من الخطرات النفسية في بواطنهم ما لا تقوى اللغة العادية على الإفصاح عنه . وإن كان اهتمام المؤلف بنجاحه في التعبير عن أدق الدقائق النفسية جعله أحيانا لا يلقى بالا إلى بعض المواصفات النحوية التي لا أشك لحظة في سيطرته عليها وأخذه بزمامها .

ثورة التكنيك:

وإذا كان " التكنيك " هو الذي استحوذ على الانتباه أكثر مما استحوذ أي جانب آخر من جوانب الرواية فإن الموضوع فيما يبدو لي ليس أقل خطراً منه فالرواية تعالج مشكلة مجتمع عجز عن تحديد موقفه من الحياة حتى لا يدري ما تريده الحياة منه ولا ما يريده هو من الحياة ، مشكلة قصور الثقافة التي تكون الفرد والمجتمع عن تزويدهما بالعناصر الضرورية لتكوينها مشكلة الإنسان الذي له ظاهر وليس له باطن الأجوف الخواء أو على أحسن حال المحشو تبنا وقشا .

إن الرواية تعرض أمام القارئ خطراً مرفوضا من مخاطر الحياة بكل أبعاده وتقول له في صراحة ووضوح إنه نمط مرفوض ولماذا هو نمط مرفوض ؟

د. عبد الحكيم حسان
جامعة القاهرة
١٩٧٤

"سكر مر" بين "ميرامار" وبين ميكاترم تيار الشعور

للناقد: فاضل تامر

" سكر مر " رواية تجريبية عربية جديدة ، تشعرك من صفحاتها الأولى أنك أمام عمل روائي جاد يحاول أن يلتمس خلال المغامرة التكنيكية التي طرحتها الرواية العالمية المعاصرة . وأنت لا تعبأ كثيرا بعدم معرفتك المسبقة بكاتبها محمود عوض عبد العال ، فالرواية تمتلك ثراءها الخاص الذي يجعلك مشدوداً بها..

منذ اللمسات الأولى لهذا العمل الأدبي تتأكد أنك أمام روائي موهوب يحاول أن يقيم صرح روايته على استخدام " تيار الشعور " الذي راح يستهوي عددا كبيرا من كتابنا المعاصرين ، تجري أحداث الرواية – أو قل تداعيات أحداثها في وعي أبطالها خلال فترة زمنية وجيزة فإذا كانت أحداث ملحمة جويس المشهورة "يولسيس " تجري خلال يوم واحد أو أقل فإن أحداث " سكر مر " تجري خلال ساعة ونصف فقط .

تبدأ الرواية من اللحظة التي يبدأ فيها بطل الرواية إبراهيم زنوبيا –الموظف في شركة الطيران العربية بارتشاف كوب الشاي الدافئ عندما تدق ساعة المكتب مشيرة إلى الثامنة والنصف صباحا وحيث يرفع إبراهيم زنوبيا الكوب ويسكب محتوياته في جوفه ، وخلال هذا الحيز الزمني المحدود تتحرك الأحداث الروائية بشكل أقرب إلى الحركة الروائية التقليدية المحدودة بزمن تقويمي اعتيادي . إذ خلافا لمعظم كتابات ممثلي روايات تيار الشعور لا نجد ذلك التداخل بين أبعاد الزمن المختلفة : الماضي والحاضر والمستقبل فالحركة منتظمة ، اعتيادية كما أننا

لا نجد أنفسنا في منطقة لاوعي متخلخل تتبعثر فيها الكلمات والصور وتنثال التداعيات اللفظية والسيكولوجية بما يلائم الحالة السيكولوجية للأبطال . ولذا فالقاص غالبا ما يلجأ إلى نوع من المنولوج الداخلي وإلى التسجيل المنطقي لأفكار ومشاعر وأوهام البطل ، وهذا كما يشير ليون أيدل في " القصة السيكولوجية " لا يصنع الرواية في منطقة تيار الشعور ، لأن هذا التيار يفترض اللامنطقية والتشتت وعدم التركيز بخلاف المنولوج الداخلي الذي هو عبارة عن تفكير منظم موزون ، أو هو تعبير بالكلمات عن " لغة اللسان " . وهو أسلوب سبق وأن ظهر في كتابات ديستوفسكي وبعض روائي القرن التاسع عشر (ليون أيدل).

ويحافظ الروائي في " سكر مر " على تقليد مهم من تقاليد هذا النمط التجريبي : وهو تثبيت نقطة ارتكاز واقعية تمثل اللازمة الخارجية التي يعود إليها البطل بين آونة وأخرى . وتتمثل هذه اللازمة في حركة كوب الشاي أمام إبراهيم زنوبيا في مكتب شركة الطيران . إلا أن المسألة التي تثير الاعتراض هنا كما يشير الدكتور حمدي السكوت في مقدمته للرواية هي محاولة عدم الاكتفاء بالغوص داخل ضمير البطل الرئيسي فقط ، بل محاولة الغوص داخل ضمير الأبطال الآخرين من خلال نقطة الارتكاز والوعي ذاتها ، ورغم أن كاتب المقدمة قد حاول أن يجد تبريرا لذلك ، إلا أن هذا الاعتراض يظل مشروعا وربما يعود ذلك إلى طبيعة اللاومة الحارصة التي استخدمها الروائي في روايته هذه .

فمن المعروف مثلا أن الروائي يستطيع أن يستكشف أعماق أكثر من بطل واحد خلال تيار الشعور كما فعلت فرجينيا وولف في روايتها " إلى الفنار " إلا أن ذلك ينبغي أن يتم عبر تحديد لازمة عامة وشاملة تجعل هذا الانتقال من شخص لآخر مبررا مقبولا . بينما تتحرك اللازمة في " سكر مر " خلال منطقة ضيقة هي حركة ارتشاف كوب الشاي من قبل إبراهيم زنوبيا بين الثامنة والنصف وحتى العاشرة . وهذه اللازمة تعطي الروائي الحق في الغوص في ضمير بطله الرئيسي أما الانتقال لاستبطان لا وعي الشخصيات الأخرى هي في

مواقع بعيدة عن منطقة الارتكاز فلا يبدو مبررا لوجود حاجز زمني ومكاني حاد . ولذا فإن بالإمكان . في الكثير من المواقع الاستغناء عن مثل هذه اللازمة ، لأنها لا تلعب دوراً حاسما في تكامل التكنيك الروائي ، اللهم إلا في دورها كفاصلة للانتقال من نقطة إلى نقطة أخرى . وكان بالإمكان استبدالها -في المواقع المذكورة - بانتقالات اعتيادية كاستخدام الترقيم والعناوين الفرعية المقطعية ، أو باستخدام النقاط الفاصلة أو بالتمييز بين الحروف الطباعية وغيرها من الوسائل التكنيكية المعروفة .

إن ذلك لا يعني أنه يجب الاستغناء عن مثل هذه اللازمة هنا بل المقصود هو ضرورة استخدام لازمة أكثر اتساعا وشمولا تكون مركزا فعليا لكل الشخصيات الأخرى . ففي إحدى قصص فرجينيا وولف مثلا تكون دقات ساعة (بك بن) هي اللازمة الثابتة ، وهي لازمة تصلح لأن تكون مركزاً لتداعيات جميع شخصيات الرواية ضمن مجال تأثيرها المحدد . وفي رواية أخرى تكون اللازمة مراقبة سقوط الأوراد ، أو سقوط المطر ونقره على زجاج النافذة . وقد يكون الحوار أحيانا وبعض كلماته المحفزة -مصدرا لمزيد من التداعيات كما هو الحال مثلا في رواية إسماعيل فهد إسماعيل القصيرة " الحبل " أو كما هو الحال في "إلى الفنار " ذاتها . فعندما يقول المستر رامسي " كلا ينبغي أن لا نذهب إلى الفنار " يكون هذا القول سببا لتداعيات عديدة لدى السيدة رامسي ولدى ولدها جيمس رامسي .

نحن هنا لا نريد طبعا أن نضع اشتراطات معينة لأي تكنيك روائي ، ولسنا بصدد توكيد بناء حديدي صارم للرواية المعاصرة ، إلا أننا بصدد البحث عن شرعية استخدام الأساليب التكنيكية التجريبية في الرواية العربية ونحاول تجنيب السقوط في إغراءات التجريب التكنيكي دونما ضرورة ملزمة .

وعموما فإن صاحب " سكر مر " قد لجأ إلى هذه الحيلة التكنيكية لمحاولة تجميع خيوط مصائر أبطاله وتركيزها خلال حركة مصممة بعناية وتخطيط . وهي في جوهرها عملية كشف لحياة مجموعة من النماذج المنسحقة المهزومة التي

تحاول أن تتشبث بوجودها وبوهم السعادة والمستقبل وهي تدرك في قرارة أعماقها بأن الأرض تهتز تحت أقدامها . وهي لهذا تبدو لنا – في الجوهر– صورة أخرى لعالم شخصيات نجيب محفوظ في " ميرامار " . فهي رواية شخصيات بالمفهوم الذي يؤكده أدوين موير في " بناء الرواية " بمعنى أنها تهتم برسم الشخصيات الروائية وكشف عوالمها حيث يبدو الحدث بالنسبة لها مجرد وسيلة للكشف عن سلوك هذه الشخصيات وأبعادها . وشخصيات " سكر مر " تلتقي في مكان واحد أيضا يشبه إلى حد كبير المكان الذي يلتقي فيه أبطال "ميرامار " .

في رواية نجيب محفوظ يلتقي أبطال الرواية في مكان ثابت وهو بنسيون في الإسكندرية تديره اليونانية " ميرامار " حيث نروح نتعرف بالتدريج إلى أبطال الرواية ، وهم مجموعة من النماذج الاجتماعية والطبقية التي تحس بانسحاقها وهزيمتها ، يحاولون التشبث بوهم اسمه السعادة أو المال أو المستقبل . ويحاول نجيب محفوظ في روايته تلك أن يقدم لنا حركة الأحداث خلال " زوايا نظر " متباينة : فتارة يقدمها لنا خلال عيني (عامر وجدي)، وتارة خلال عيني (حسن علام) ، وأخرى خلال عيني (منصور باهي) وهو في ذلك يستخدم تكنيك لارنس دوريل في " الرباعية الاسكندرانية " حيث يحاول دوريل أن يقدم الحدث الواحد خلال منظار شخصياته المختلفة ، وهو أيضا يلتقي مع الكثير من الخصائص التعبيرية لرباعية فتحي غانم " الرجل الذي فقد ظله " .

وفي «سكر مر» ، يقدم لنا القاص أبطاله خلال مكان واحد أيضا – وفي الإسكندرية بالذات – وذلك في شقق عمارة واحدة حيث نتعرف إلى أبطال الرواية الرئيسيين . حيث نتعرف إلى (إبراهيم زنوبيا) الموظف في شركة الطيران والشاعر الفاشل الذي يسير تدريجيا نحو الجنون ، ويحلم بأن يبايعه العالم أميرا للشعراء . كما نتعرف إلى (عصام الترجمان) الطالب الفاشل في كلية العلوم الذي طرده أبوه لسوء سلوكه فاشتغل في التجسس ووقع فريسة للخوف والقلق وانتهى أمره إلى الجنون . ونجد في الرواية أيضا المسيو (نانا) – اليوناني– وهو مستشرق فاشل ، ترك اليونان وجاء إلى الإسكندرية بحثا عن جثة الإسكندر الأكبر وانتهى به المطاف إلى السجن بعد أن سقط عدد من الناس في أحد الآبار

التي كان يحفرها بحثا عن المقبرة . ونتعرف في هذه الرواية إلى شخصيات أخرى مثل شخصية العم سلطان حارس العمارة وابنته محروسة ، ونلتقي أيضا بفتاة أخرى هي " ناهد " التي تشارك عصام الترجمان أعمال التجسس . وبالإضافة إلى ذلك فهناك نموذج آخر هو نموذج التلميذة التي يدرسها (إبراهيم زنوبيا) .

ونلاحظ من هذا التوزيع للشخصيات الروائية تماثلها مع شخصيات نجيب محفوظ في ميرامار . " فشخصية (عصام الترجمان) المغامر والجاسوس واللاأخلاقي " هي صورة أخرى لشخصية (سرحان البحيري) الشاب المغامر الطموح الذي يسلك طريق المغامرة والتهريب لكي يستطيع تسلق السلم الطبقي وينتهي نهاية فاجعة مماثلة لنهاية (عصام الترجمان) .

كما أن شخصية " محروسة " هي صورة أخرى لشخصية زهرة " في ميرامار " ويمكن القول أيضا بأن مستر " نانا اليوناني " يمتلك الكثير من الملامح المماثلة لشخصية العجوز اليونانية (ميرامار) صاحبة البنسيون .

ونلاحظ أيضاً أن أبطال " سكر مر " يشتركون مع أبطال " ميرامار " في أنهم يسيرون نحو نهاية فاجعة واحدة : الهزيمة والخيبة -الجنون- الموت ، وهم يسيرون نحو هذه النهاية الفاجعة لأنهم لم يستطيعوا التلاؤم مع الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي شرعت الثورة بإرسائها بسبب ضرب مصالحهم الاقتصادية والسياسية ، ولذا فهم - بعيدا عن اعادة النظر في مواقعهم بشكل واقعي -ينزلقون إلى تسلكات فردية خطرة تقودهم إلى الكارثة . وفي الوقت الذي حاول فيه نجيب محفوظ رصد التجربة الواحدة خلال منظار إبطاله المتخلفين - على غرار " الرباعية الإسكندرانية " - يلجأ صاحب " سكر مر " إلى النظر إلى الأحداث خلال لا وعي هؤلاء الابطال وخلال رحلة تيار الشعور التداعيات الداخلية في حركة مكثفة مجنبا في ذلك الكثير من عناصر التكرار الزائد التي أغرقت "ميرامار " .

وعموما فإن رواية " سكر مر " تظل ، رغم كل شيء ، محاولة جريئة وطيبة في الرواية العربية ، تحفز في القارئ الرغبة في التأمل والتفكير العميق .

فاضل تامر
ناقد عراقي
١٩٨٠

ثورة في .. التكنيك الروائى
دكتور حمدى السكوت

تحتاج هذه الرواية إلى ذلك النوع النشط من القراءة الذي يقدم عليه الإنسان وقد هيأ نفسه لقراءة عمل صعب، فالذين يلجأون للقراءة كوسيلة أخيرة لقطع الوقت عندما يعدمون وسيلة أخرى للتسلية والذين يقرأون وهم يستمعون إلى المذياع مثلا أو يشاركون في الحديث من وقت لآخر سيجدون الكتاب غامضا وصعبا وربما ألقوا به من أيديهم في غضب . أما أولئك الذين يأخذون القراءة على أنها عمل جاد نشط فسيتغلبون على ما قد يجدون بالكتاب من صعوبة وغموض بدرجات متفاوتة تفاوت ثقافتهم وقراءاتهم السابقة . ومبعث هذه الصعوبة أو ذلك الغموض أن الرواية تقدم ألوانا جديدة من الأساليب الفنية غير الشائعة في الأعمال القصصية العربية ، بل وأكاد أقول إنها لم تجتمع في عمل قصصي عربي من قبل . وهي من هذه الزاوية تقدم ثورة في التكنيك الروائي سنشير إلى مظاهرها البارزة الآن .

فإذا كان استخدام " تيار الوعي " يعد في حد ذاته أسلوبا جديدا نسبيا في القصص العربي فإن المؤلف لم يلجأ إلى استخدام هذا الأسلوب بالطريقة المألوفة التي عهدناها عند كتاب مثل " جويس " " فرجينيا وولف " ونجيب محفوظ ، وهي الطريقة التي يخبرنا فيها المؤلف تصريحيا أو تلميحيا أن هاتيك المشاعر والأفكار هي مشاعر وأفكار هذه الشخصية أو تلك . وإنما لجأ المؤلف الشاب إلى عرض كل " تيارات الوعي " في الرواية من خلال " تيار الوعي " واحد كبير لأحد الشخصيات وهو (إبراهيم زنوبيا) الذي يجلس في مكتبه في الثامنة والنصف

صباحا ليحتسي فنجانا من الشاي فلا يفرغ من احتسائه في تمام العاشرة إلا وقد استعاد بذاكرته ، وبأسلوب " تيار الوعي " كل أحداث هذه الرواية .

وهذه الطريقة –على ما أعلم – لم يلجأ إليها قصاص عربي من قبل وهي لاشك ستثير كثيرا من الجدل ، ولا أكتم القارئ أني لم أستسغها بادئ الأمر، وعجبت كيف يمنح المؤلف لإحدى الشخصيات هذه القدرة الخارقة التي تمكنها، لا من أن تتسلل إلى رؤوس الشخصيات الأخرى فحسب ، وإنما لتتبجح فتنقل إلينا، في دقه مذهلة ، وفي شكل تيارات وعي ، ما كانت تضطرب به هذه الرؤوس من أفكار ونزوات ومشاعر ؟

إن هذا أسلوب لا يقبله النقاد من الكاتب إلا إذا اختار أن يروي أحداث روايته بضمير المفرد الغائب فقط (من المعلوم أن هناك طرقا مختلفة لعرض أحداث العمل القصصي منها مثلاً المذكرات والرسائل ، ورواية أحداث هذه القصة بضمير المتكلم . وفي هذه الحالات وغيرها يكون الراوى احد أبطال القصة، وهو لهذا معروف للقارئ ومحدود القدرات كإنسان ، ومن ثم فالقارئ لا يمنحه الحق في أن يحكي على سبيل القطع ، كل ما يدور في أذهان الشخصيات الأخرى) وهي الطريقة التي يكون فيها الراوي مجهولا تماما ومن ثم فالقارئ يتسامح في إعطائه الحق في أن يكون عليما بكل شيء OMNISCIENT ويغتفر له أن ينفذ – في أي وقت شاء– إلى أعماق كل الناس ويصف ما يرى .

ولكنني بعد تأمل يسير ، تبين لي أنه من الظلم أن نحكم على هذا العمل بمقاييس الحكم على الرواية التقليدية ، فمن البديهي أن المؤلف هنا لم يشأ أن يقدم لنا مثل هذه الرواية ، وإنما قدم عملا ركز فيه كل التركيز على التكنيك فلم لا نتابع أسلوبه ونمضي معه إلى نهاية الشوط لنرى هل سيتأثر عمله نتيجة مخالفته لهذه القاعدة المألوفة أم لن يتأثر ؟ وأشهد أني مع المضي في القراءة والاندماج في هذا الأسلوب الدرامي للرواية أخذت أحس بذلك الاعتراض الذي كان قائما في مؤخرة الذهن في مبدأ الأمر ، يتلاشى تدريجيا ، وبدأت ألاحظ أنه مع مثل هذا الأسلوب ، الذي يحققه استخدام " تيار الوعي " ، يختفي وجود الراوي تماما

من ذهن القارئ ، ومن ثم يستوي أن يكون هذا الراوي " عليما بكل شيء " أو شخصية من الشخصيات محدودة القدرات . وأقصي ما كنا سنطالب به المؤلف هنا هو بعض عبارات الربط التقليدية التي توضح لنا أن ما سيذكره الراوي إنما هو على سبيل التخمين لا القطع ، كأن يقول مثلا " ولعل نادية في ذلك الوقت كانت تفكر على هذا النحو " .

ولكن هذه العبارة وأمثالها بدت لي ، مع درامية أسلوب الرواية ضربا من الإطناب لا مبرر له إن لم تكن حشوا سخيفا ، وبخاصة أن المؤلف استطاع رغم اختفاء تلك العبارات التي عادة ما توضح أيضا أن تيار الوعي هنا هو لهذه الشخصية أو تلك إلا في حالات نادرة (انظر مثلا نجد " زنوبيا " مستغرقا في أفكاره أولا ثم لا ندري بعد ذلك من الذي خلفه ، وذلك ابتداء من عبارة " زوبعة الصحفي القديم " ..... إلخ) . في أن يجعلنا نتعرف في سهولة على الشخصيات المختلفة من خلال الظروف والاهتمامات المتغايرة لكل منهم .

على كل حال فهذه الظاهرة -ظاهرة استخدام تيار وعي رئيسي تنبعث منه تيارات وعي فرعية لباقي الشخصيات- ليست هي الظاهرة التكنيكية الوحيدة التي تقدمها الرواية ، وإنما هنالك بعض الظواهر الأخرى التي توجد عادة في الأعمال الغربية التي تولي الجانب التكنيكي عناية كبيرة " كيوليسيس " مثلا . من هذه الظواهر مثلا تلك المناظر المسرحية الثلاثة التي تقوم على الحوار وتوصف فيها المشاهد والتي يهدف المؤلف من وراء استخدامها إلى التنويع في طريقة العرض وكسر حدة اسلوب " تيار الوعي " الذي تحكي الرواية كلها من خلاله ، وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة إلى أن المؤلف يلجأ كثيرا كذلك إلى الحوار الذي يسترجعه الراوي " زنوبيا " من خلال تيار وعيه الكبير والذي يدور بين الشخصيات الأخرى أحيانا ، وبينها وبين زنوبيا أحيانا أخرى .

أما تلك المناظر المسرحية فتتخيلها الشخصيات الثلاث الرئيسية في الرواية وهي شخصيات " عصام " واليوناني " مسيو نانا " والراوي " إبراهيم زنوبيا " وهي إلى جانب كسرها لرتابة العرض فإنها تلقي بأضواء كثيرة على حاضر هذه

الشخصيات ومخاوفها وآمالها . وفي حالتي " عصام " و " زنوبيا " بصفة خاصة فإن حاضر الشخصية يمتزج بالوضع السياسي الراهن في شكل رموز لا يخفى على القارئ تتبعها . والواقع أن الرمز في الرواية . وهو - كشأن الرمز دائما- واضح أحيانا وخفى أحيانا أخرى ، بما أن الرمز يقوم على اختيار المؤلف الذاتي جدا لرموزه وهذا الاختيار هو بالطبع حصيلة عوامل كثيرة معقدة مرتبطة بحياة المؤلف ، طفولته مثلا وبيئته وقراءاته .... إلخ ومن ثم فمن الصعب أن يتتبع القارئ الرمز في كل الأحيان . ومن المعلوم أن الكاتب الرمزي لا يضايقه هذا الغموض في عمله، بل هو يقصد إليه قصدا لأنه يتيح لخيال القارئ أن يتحرك في مجال أرحب، ويساعد على إثارة الارتباطات النفسية وانصاف الظلال في ذهن القارئ . وهي أمور لا تحققها الأساليب العادية الصريحة والمحددة .

ظاهرة أخرى تفرض نفسها في كل الوقت على انتباه القارئ لهذه الرواية هي اللغة التي كتبت بها فكنتيجة طبيعية لاستخدام تيار الوعي من جهة وللجوء الكثير إلى الرمز من جهة أخرى جاءت لغة الرواية شعرية في أكثر الأحيان ، سواء من حيث الإيقاع أو من حيث الكثافة والتركيز والإيحاء . وكثيرا ما يشعر القارئ وكأنه يقرأ قصيدة من الشعر الجديد . ولا يتسع المجال للإكثار من الاستشهاد ولذا فسأكتفي بهذه العبارات التي أخذتها بطريقة عفوية من فقرة واحدة لا تتعدى أربعة أسطر تصور ما يجري بنفس " زنوبيا " من إحساس بالإخفاقات واللوعة والأمل : " أنت ابن الحب " يوجد لو عاش الآخر . مات الآخر . الريح يبست . الأفكار بلا أرجل .. الأيدي مقيدة .. العيون بلا حبات نور . عناية الله لا تأتي كرها .. يا روعة الحنين .. قولي يا ماجدة : نبي جديد ولد .. مجد العالم تحت يديه " (العبارات المذكورة هنا هي التي جاء الإيقاع فيها بارزا . أما العبارات الأخرى فتركت . ومن هنا سر ما قد يبدو من تفكك .) فهذا الإيقاع وإن لم يكن شعرا خالصا إلا أنه يرغم القارئ إرغاما على ملاحظته . هذه في إيجاز هي أهم الظواهر التكنيكية التي تقدمها رواية " سكر مر " . والسؤال الذي يطرح نفسه

الآن هو : هل أفادت هذه الرواية من حشد هذه العناصر التكنيكية بها ؟ وهل كانت هناك مبررات لتنكب المؤلف للطريق المألوف في الكتابة الروائية ؟

والجواب أن نعم ...

فاستخدام هذا الأسلوب قد أزاح الحاجز القديم الذي كان يقف عادة بين القارئ والشخصية . إذ القارئ هنا يجد نفسه داخل ذهن " زنوبيا " و " عصام " و " نانا " وكل الشخصيات الأخرى دون الحاجة إلى وساطة . وهو يحس بأن المؤلف هنا قد تخلى عن الدور التقليدي الذي كان يقوم به المؤلفون عادة ، وهو دور المؤرخ الذي يحكي أحداثا متتابعة انتهت قبل أن يمسك القارئ بالرواية ليقرأها ، وبدلا من ذلك قد أتاح للقارئ أن ينظر إلى الجزء النشط من رأس الشخصية، على حد تعبير ولتد ألن (W- ALLEN) وهو يعمل فعلا ، ولذا فهو يقاسم الشخصية الحاضر المستمر لمنطقة وعيها والنتيجة هي تلك الألفة الفورية مع الشخصية وهو مكسب هائل .

يضاف إلى ذلك المكسب اللغوي الكبير الذى أشرت إلى مظاهره منذ قليل، والذي ينبع أساسا من الاستخدام الكثير للرمز من جهة ومن أن العبارات هنا تخرج من ذهن الشخصية مباشرة ، وهي ولذلك تأتي ملونة بانفعالاتها وعواطفها المتغايرة ، ومن هنا كان اقترابها من لغة الشعر، الذي يعرف أحيانا بأنه " الفكرة متشحة بالعاطفة " .

ومن جهة أخرى فالقارئ هنا قد خلص من رتابة الأسلوب السردي الذي لا يخلو عادة من تقريرية تبعث الملل إلى نفسه ، إذ مثل هذا الأسلوب يختفي تماما من هذه الرواية ليفسح المجال لأسلوب آخر درامي ملئ بالحركة والحيوية .

ومع كل ما تقدم فقد قاد التركيز على الجانب التكنيكي ، وبخاصة الإفراط في استخدام تيار الوعي ، قاد إلى بعض الظواهر التي كنت أحب أن أراها في هذا العمل الذي سررت بظهوره غاية السرور .

من هذه الظواهر مثلا اطراد فى الرواية واتحاد سرعته فى كل المواقف مهما اختلفت درجة التركيز الانفعالي لكل منها .. فسواء في هذه الرواية أكانت

الشخصية تمر مثلا بموقف يقطر مرارة ويأسا أم بموقف نشوة وانطلاق فإن اللغة مندفعة مركزة متماثلة السرعة في كل الأحوال . وإذا سلمنا بأن مثل هذا الأسلوب ، بسبب تدفقه ، لايبعث الملل إلى نفس القارئ ، فإنه سيترك هذا القارئ يلهث في تتبعه لأحداث الرواية من موقف لموقف حتى النهاية .. وتلك خاصية يحرص كبار الكتاب على تجنبها ، إذ الكاتب الكبير يأخذ مع قرائه والتشبيه للناقد الإنجليزي سي . اس . لويس موقف الأخصائي الرياضي الذي يقود من يؤدون التمرينات معه طبقا لنظام مرسوم وحسب توقيت محدد . وكلما كان هذا الأخصائي أستاذا فإن التوقعات والحركات ، الإبطاء والإسراع ، سهولة بعض المقاطع وصعوبة بعضها الآخر .. كل ذلك سيأتي بالضبط عندما يكونون في حاجة إليه (انظر عرضا لكتاب لويس " تجربة في النقد " لكاتب هذه السطور في مجلة -المجلة- عدد أكتوبر ١٩٦٣) . ويتصل بهذه الظاهرة ، وربما ينبع من السبب نفسه ، أي استخدام تيار الوعي بالدرجة والكثرة أنفسهما ، أن الشخصيات الرئيسية لم يكن لأي منها ملامح نفسية متميزة ، وإنما كانوا يفكرون ويتصرفون ويتكلمون بطريقة واحدة . وصحيح أن لكل منها ظروفه واهتماماته (أو قل اهتمامه . فالمؤلف يدخل كثيرا بالاهتمامات على شخصياته).

عصام الترجمان مثلا طالب فاشل بكلية العلوم طرده أبوه لسوء سلوكه فاشتغل بالتجسس ووقع فريسة للخوف والأرق والقلق وانتهى أمره بالجنون .

ومسيو نانا مستشرق شاب فاشل ترك اليونان وأتى إلى الإسكندرية بحثاً عن جثة الإسكندر الأكبر ، وينتهي به المطاف إلى السجن بعدما سقط عدد من المتجمهرين في أحد الآبار التي كان قد تم حفرها بحثا عن المقبرة .

وإبراهيم زنوبيا شاعر فاشل يعرف بكلام لا معنى له ويعتقد أنه شعر مثالي ويعجب كيف ترفضه دور النشر ورؤساء التحرير ويقضي أوقاته حالما باليوم الذي يصبح فيه أمير الشعراء ويحرر بشعره قارة إفريقيا ! وقد انتهى به الأمر أيضا إلى ما يشبه الجنون (يشكل هذا الاستعراض السريع لظروف ومصائر الشخصيات الرئيسية صلب الرواية . ومعلوم أن رواية " تيار الوعي " لا تهتم

كثيرا بالعقد أو الأزمة أو الحل وما إلى ذلك وإنما هي تركز على ما يدور في ذهن الشخصية . اما الفشل الذي يحيط بهذه الشخصيات والإحباط الذي يعانون منه فيمسكان روح اليأس العامة التي سرت في جميع فئات المجتمع بعد نكسة ١٩٦٧ بقليل ، وهي الفترة التي كتبت فيها الرواية) .

ومع ذلك وبالرغم من تنوع ظروف الشخصيات واهتماماتها على هذا النحو ، فالملاحظ أنها جميعا تتكلم نفس اللغة وتفكر بنفس الطريقة وتتخذ نفس المواقف من كل ما يعترضها ، لدرجة أن القارئ يداخله احيانا شعور بأن أي شخصية من هذه الشخصيات لو واجهت وحدها كل هذه المشاكل لما حدث تغير كبير في المواقف او التصرفات . أقول هذا وفي ذهني تلك الفروق الهائلة من حيث اللغة وطريقة التفكير ودرجة العمق وتنوع الاهتمامات والمستويات للشخصيات الثلاث الرئيسية في عمل لم يستخدم تيار الوعي كما هو الحال فحسب ، وإنما كتب له أن يثبت أقدام " تيار الوعي " كأسلوب فني وهو (يوليسيس) (لجيمس جويس) وأقول هذا أيضا وأنا أعلم أنه من الظلم الفادح أن نقارن محمود عوض عبدالعال الكاتب الناشئ . بكاتب يعترف النقاد الإنجليز بأنه لا يدانيه في العظمة من كل كتاب هذا القرن عندهم الا (د . هـ . لورانس) ولكني أريد أن أوضح الخطر الذي ينزلق إليه الكتاب الشبان عادة عندما ينساقون وراء سحر أسلوب " تيار الوعي " فيغفلون عن بعض العناصر الأساسية للعمل الروائي .

نقطة أخيرة .. أعتقد أن التركيز على النواحي التكنيكية قد أدى إلى إغفالها وهي العمق ، عمق المشاعر قبل عمق الأفكار ، فكل الشخصيات هنا مشغولة بتحقيق أمل خادع ، سواء الوصول إلى إمارة الشعر وتحرير إفريقيا بالكلام او الحصول على ثمن التجسس ، أو كشف مقبرة الإسكندر الأكبر ، أما فيما عدا ذلك فإننا لا نجد لمعظم هذه الشخصيات أى أرتباطات وجدانية طبيعية بعوالمها الصغيرة.

إن إبراهيم زنوبيا لم يتذكر مرة واحدة في كل " تيارات وعيه " الكثيرة أخته الصغيرة مثلا أو أمه أو أباه . وقد ماتوا جميعا في حريق . وقل نفس الشيء بالنسبة للمسيو " نانا " الذي تعتبر ذكرياته عن أسرته معلومات عن سبب مجيئه إلى الإسكندرية أكثر منها حنينا إلى هذه الأسرة وارتباطا بها .

عصام الترجمان فقط هو الذي نجح المؤلف في ربطه بواقعه الخاص وماضيه إلى حد كبير . إنه يقدم لنا عادة ورأسه ملئ بأفكار شاردة متناثرة ، أفكاراً يثيرها ما يمارسه من أعمال التجسس وما يجذب بصره وهو ينظر من النافذة أو وهو في طريقه إلى الكازينو مثلا . ومع ذلك فالقارئ يحس دائما بأن كل هذا ليس سوى زبد على السطح وبأن هنالك جرحا غائرا وانشغالا دائما بمشكلة لا تبرز إلى منطقة الوعي إلا من وقت لآخر ومع ذلك فنحن نشعر بوجودها دائما ، مشكلة الإحساس بالحرمان من الانتماء الأسري بعد أن طرده أبوه .

ولو أن المؤلف أولى اهتماما كافيا لمثل هذه الارتباطات مع باقي الشخصيات لاكتسبت جميعها أبعادا حيوية وعمقا مرغوبا فيه ، ولجعلتنا أكثر استعدادا لتقبلهم ككائنات حية ، لأننا -مهما كانت الرواية نتعامل أساسا مع فكرة أو أفكار - نتوقع من الكاتب أن يزود شخصياته . التي ستعبر عن هذه الأفكار بقدر من اللمسات الواقعية ذات المغزى يكفي في إقناعنا بهم أولا كأشخاص .

وبعد فلا ينبغي أن تنسينا هذه المآخذ القليلة جوانب الجودة الكثيرة في هذا العمل والتي سبقت الإشارة إلى بعضها ، ويكفي أن نتذكر هنا الأخطاء الكثيرة الموجودة في الأعمال الأولى للكثير من كبار كتابنا ، كما لا ينبغي أن تجعلنا هذه المآخذ نغفل عن الحقيقة الكبيرة ، وهي أن موهبة أصيلة جديدة قد ظهرت ، موهبة لا تنقصها الأداة ولا الطموح ولا الثقافة .

ونحن نرجو أن يتم على يد الأستاذ محمود عوض عبد العال وزملائه ممن يهتمون بالجوانب الفنية كل هذا الاهتمام ، إرساء قواعد تكنيك عربي أصيل للكتابة الروائية ، فلا شك أن كل مثقف عربي يتمنى أن يبرز لنا طابع تكنيكي خاص بدلا من أن نعيش عالة دائما على نتاج قرائح الغربيين في هذا الصدد ، ولكننا في نفس الوقت نهيب بهذه المواهب الشابة -حرصا منا على نجاح ثورتهم التكنيكية- ألا ينسوا ، في غمرة الاهتمام بالتكنيك الجوانب الأساسية الأخرى للعمل الروائي الجيد.

د. حمدي السكوت
الجامعة الأمريكية بالقاهرة
١٩٧٠

صباحا في البدء ... دقت ساعة مكتب شركة الطيران . الثامنة والنصف ... بطيئاً كعادته جلس أمام كوب الشاي الدافئ، وبامتنان صدئ راح يقلب السكر المتجمد في القاع

ليلتي طويلة بلا بداية ولا نهاية ، مثل عمر الناي القديم .. سأسافر . لأنني شهيد .. وبقرة تموت ، وكلب رخيص ، وإفريقي يئن حزناً في سوق مفتوح للجميع. ماذا أحمل في القلب ..؟ ماذا أحمل غير الطهر .. ؟ الشاطئ ملآن بالزفت .. ، الغابة فيها ألف ألف ثعبان .. القارب مفتوح البابين . حليق الذقن .. ، والسيف الظمآن خارج الجراب .. مستعد .. من يقدر حتى محو الناس .. بعض الناس .. وتعذيب الكلمات .. وبتر سيقان الشط .. سأسافر هذه الليلة .. شهيد .. شهيد .. شعر بقلم إبراهيم زنوبيا .

بدون عنوان .. سيغدو ذلك محيرا .. مضمون الرسالة أفضل ..

السيد رئيس مجلس الشعر .. أبعث إليك بقصيدتي الأخيرة .. رقم مائة .. راجيا بعض الاهتمام .. أنت يا سيدي تعاملني مثل أسرى الحروب الذين لا يفهمون معنى الوطنية .. يمكنك أن تتأكد من وطنيتي وتسأل عني في شركة الطيران العربية .. قلب محطة الرمل .. عندئذ ستجد هناك من يقابلك بحرارة .. ويجيبك بمنتهى الرقة .. في انتظارك .. المهم أن مستوى شعري جيد من تلقاء نفسه .. الوحى.. الأصدقاء صفقوا مليون مرة .. (أنت تنشدنا من الفردوس) .. (كلماتك مطرزة بالورود) أصدقائي باعوا فراغهم من أجلى .. ، فهل تقبل يا سيدي أن أقتلهم بهذه الطريقة ؟ .. لا .. لا .. لا .. رؤساء التحرير لا يفعلون .. أهيب بك .. بقلب عالمي الكبير .. النشوء والارتقاء .. لا أحزان من أجلي .. لا ألم .. قصيدتي أنشرها .. عضوا عاملا مخلصا ضمن الأعضاء .. لسوف أحبكم مثل الله .. هل أخبر الأصدقاء أنني نجحت ولم تعد أمامي مشاكل من هذا النوع .. يا سيدي . لمرة واحدة .. الثقة .. الثقة بي .. فردوسية مطرزة بالورود .. ملكة سبأ ومصر ولندن على امتداد خطوط الطيران .. الإذاعات – الصحف– المجلات .. السينما .. نبي ولد في إفريقيا .. نبي جديد .. أبشروا يا سكان .. نبي من لون

الفحم .. جاوز الحدود .. إلى الشمال .. إلى الجنوب .. إلى الشرق .. إلى الغرب .. تقبل خالص تحيات الذي ولد من ثلاثين عاماً .. موظف بشركة الطيران العربية .. مدرس لغات .. جميع اللغات الحية .. الاسكندرية .. إبراهيم زنوبيا .. ميدان محطة الرمل .. أو .. العمارة الجديدة شارع معروف بأبي قير .. آه .. آه .. أربع جدران متقابلة .. أنفاسك دافئة .. آه .. نافذة على اليمين نصف مفتوحة .. مقعدان بلا مساند .. ضوء باهر .. الأشياء مميزة .. شعراء القرن الأول والثاني والثالث على رفين متقابلين .. أستراليا بينهما مثل الصرصور . فوق المكتب رسالة مطوية .. روماني .. عالم رحب .. زهرتين .. حبتين من الماس .. روحك مشدودة إلى الكون .. الخافق .. التأمل .. أنت ابن الحب .. يوجد لو عاش الآخر .. مات الآخر .. أنت ابن الكراهية .. جامدة مثل الحديد .. الريح يبست .. الأفكار بلا أرجل .. الأيدي مقيدة .. العيون بلا حبات نور .. عناية الله .. لا تأتي كرها .. يا روعة الحنين .. قولي يا ماجدة : نبي جديد ولد .. نبي أسود في لون الفحم ضرور .. مجد العالم تحت يديه .. فردوسية مطرزة بالورود .. لا تلومي الناس .. الحسد آية باقية .. حب الشعراء توبة ، والقضاء هارب .. النبع سيشق الأرض بالإعلان .. لا .. لا تهربي .. أنا لا أخيف .. فضيحة النبوغ على مشارف المدينة تنطق .. ماجدة بنت في السادسة عشرة أحبت النبي وقدرت عليه بلا ألم .. امسحي عار كذبك .. جئت أسمر ، والإفريقي لا يخدعه أحد .. عندما سرقني لص كانت عيناي على المسروقات ترقبه .. اللعنة كانت بالدمع، ذبح اللص قطتي لكي لا تموء فتوقظني .. أنا أعرف عنوان اللص أعرف أعرف .. من لم يقدر على شيء بات حزينا بلعنات الأمل .

دق جرس الباب .. وقف يجيب سؤال الباب المفتوح ..

– أهلا عم سلطان .

– ها أنت .. مساء الخير يا أستاذ إبراهيم ..

– مساء النور تفضلا .. من معك ؟ ..

– الأستاذ عصام طالب بكلية العلوم .. أعزب ويبحث عن حجرة ملائمة ..

وعندما أخبرته بالحجرة الجوانية .. وافق على كل شيء .. ويريد إلقاء نظرة ..

– .. وأخبرته بالشروط .. ، والثمن .. ؟

– هل تسمح لي برؤيتها .. في دقيقة ..

– بكل سرور .. تفضل .. !!

الشعر فوق العلم ، الحب فوق الكره .. شاب طويل جذاب .. صوته إذاعي رخيم .. مستقبل الشعر أبقى عمراً من مستقبل العلم .. العلماء عبث الحضارة .. يفنى عمره من أجل خطين في مثلث .. شيطان الموسيقى يهرب ساعة أزمته .. من رأس بيتهوفن إلى رأس شاعر .. خذ العوطف وأبصق في منديلك على مستوى العلوم في بلادنا ، الناس تنادي عالمها المثقل بالأطنان .. فمن يجيب دعوة المضطر ؟! العلم والمادة كابوس .. إلا الشعر .. الشعر براء وحرية .. خواء مكذوب .. لم يتشرد شاعر إلى العدم مثلما فعل العلم بأصحابه .. ويل للعلم من الروح .. عليك بقصائد الزمن والحرب ومشاكل الساعة .. الخنفس سينهار .. سيسقط تحت قدميك .. أنت حرى .. أنت مالك المكان .. أنت سيد .. هب أنك وجدته عبدا ، عاشقا ، تافها ، لا يفكر في الشعر .. الحرب ..

– ما رأيك يا أستاذ عصام . ؟

– حجرة جميلة يا عم سلطان .. كما أن لي الشرف بجوار الأستاذ الشاعر ..

– مبروك عليك .. وإياك أن تنسى مراعاة .. الشرف والأدب واحترام الجميع..

– اطمئن من هذه الناحية .. لكن .. طبعا الحرية الشخصية خارج الشروط ؟

– ماذا تعني ؟

– الكلام ، والمعارف ، والأصدقاء .. و .. ومثل ذلك ..

– اتفقنا .. خبرني .. أتقرأ الشعر .. ؟

– ليس دائما .

– اسمعا جزءا من آخر ما كتبت .. القصيدة " بلا عنوان "

– أما أنا فسأنصرف .. العمارة لا يحرسها سواي .. والظلام بدأ .. !

– لا بأس أن تذهب يا عم سلطان .. اسمع يا صديقي .. ماذا أحمل في

القلب المفتوح .. ؟ ماذا أحمل غير الطهر ، إن الشاطئ ملآن بالزفت ، وإن الغابة فيها ألف ثعبان .. القارب مفتوح البابين ..

.. حليق الذقن .. والسيف الظمآن ، خارج الجراب .. مستعد ..!! عيناك في عيني .. إعجاب أم تبرم ؟! لا تنكس النفاق .. عد إلى التطلع .. ماذا وجدت في المذاق ؟! قل جميل ورائع وحسن للغاية .. إلاما أبهمت .. بأسلاك التليفون أشد أنفاسك .. آلو .. أنا ابراهيم زنوبيا .. الأب مات والأم ماتت .. وأعيش على متن الخطوط الجوية .. أحب أكل الأسماك الطازجة .. الجمبري أشهى مأكولاتي .. آلو .. ماذا في الحجرة الجوانية .. ؟! (نحن نهتف بك يا قديس الفردوس) .. اسمع جيدا كل همسات الحلوق .. مرآتي المخبوءة تكشف ورقات القوقع .. تقول : عند السحب سماء ، وفي السموات ملائكة ، في جوف البهائم دماء وبول ولبن وشحوم .. عندئذ بدأ خلق الانسان من طين . وقف حاكم إفريقيا العملاق يصرخ في الجماهير التواقة للحرية .. هلموا إلى الأمام .. هلموا يا رفاق إبراهيم زنوبيا .. معنا الله .. أما أنتم يا بغال الدنيا .. اللعنة على وجوهكم المتجهة إلى برد يناير وجهنم يونيه اذهبوا .. اذهبوا إلى حجراتهم ..

– كم ساعتك الآن .. ؟ ..

– منتصف الليل ...!

– أوه .. تأخرت .. إلى اللقاء ..

– تصبح على خير .. !

**سحب المعلقة من الكوب ووضعها في الصينية .. **

الحجرة الجوانية أمان وأمل .. الجزء المهم .. انتهى ، العرض ثلاثة أمتار .. والطول أربعة . والارتفاع ثلاثة وبضع سنتيمترات .. لا بأس .. المكان موجود .. شاعر نصف عاقل لذيذ الطموح .. نافذة على شاطئ أبى قير .. بالقرب من ربوة عليها بضعة مدافع تالفة .. أوه .. !! قلعة عرابي .. كم حدثوني عنها في رحلات المدرسة الابتدائية .. معسكر الشباب .. شارع مصطفى كامل .. استراتيجي تماما .. الحركة حرية .. اصعد فوق قلعة عرابي وبالشفرة أد الأمانة إلى من

ائتمنك .. الإسكندرية باردة تحت سحب يناير .. لا تتردد في أنك طالب بكلية العلوم .. جامعة الإسكندرية .. تذاكر .. تتحدث عن إرهاق السهر ، وقرف الأساتذه .. وقوانين الجامعة البالية .. الأصدقاء بكتب ، المنطق لا يبعثر الجهد سدى .. دبر .. نفذ .. حركة الغيب تأتي بنسق الفكرة الأزلية ، صادرة من قلب الطبيعة .. الأم .. كازينو (المنتدى) تحت القلعة من الغرب .. حبيبتي معي في الرابع .. الذي جمعنا لا يضيعنا .. يا حب .. يا مليون جنيه أوراق خضراء .. اتصال الفوق بالقاعدة الوسط ضرورة .. والصديقات بكتب .. عم سلطان مشغول بالداخل " والأسانسير " .. لم يكن الغرض من إقامة المركز مجرد تبادل المعلومات .. الانسحاب من الخوف إلى الحب .. تضامن .. والشاعر يكفيه جنونه لينسى ويعمى .. ينقلك إلى الجنة المزعومة على متن طائرة مضطربة من شركة الطيران العربية .. العربية .. العربية .. خرافة الفيل الذي رفع السيف في وجه الحضارة .. نحن لا نفعل شيئا .. لا نفعل شيئا .. الفعل مستورد وعمال البياض من عندنا يلصقون الإعلان .. شركة الطيران .. الجنون فن .. ومعاملة المجانين شيء آخر أرقى من الفن .. مفيد لأنه موظف بالطيران .. رغم سذاجته فلا أنكر عليه استيعابه للمشاكل العامة .. حبيبتي معي ، في الرابع .. يا من تصغرني بأربعة طوابق ، وقد روى المسطول في الكتب أن شيئا من سحر الجن يسكن ضلوع المراهقين من بني الجنسين .. الليل في الاعتبار الليل الذي لا تشرق له شمس . ولا يقوم إلا بإذن المزاج .. ولا .. ولا .. بالجنيهات العشر أصنع بضعة أرفف وكتب .. ومن الكتب أنقل عدة صفحات .. نجاح الخطة تتوقف على إرادة الفعل .. عندئذ هذه الخطة أساسا .. النافذة تسحب شعاع الشمس من فم الصباح على السرير والحائط المواجه .. تستمر تشع وتشع إلى منتهى النضج ثم تنزوي إلى بعيد .. ب ٣ .. دل .. أرسلت جميع هذه المعلومات في صورة هدايا تذكارية عن الإسكندرية ..

– من يطرق .. ادخل ..

– أنت نائم ..

– أستاذ إبراهيم .. تفضل ..

– آنسة تدعى – ناهد – تنتظرك في الصالة ..

ناهد ؟! .. يا حب !! علينا تجديد أرواحنا فى أوقات العمل .. الأفكار الخاصة تقول ذلك .. قد كنا نقدر على حياة عادية ممكنة ، ناهد دين التغيير الذي حول المجرى وباعد بين المثلثين والرؤية الحسنة ، ليس ثمة نوع واحد من الأجور .. أنته تحمل جرة الشباب ، تناولا العشاء في مطعم للصيادين .. قال صياد : شربت زوجتي كوبا من دم " الترسة " وبعدها كان الجو معتدلا وارتفاع الموج من عشرة إلى خمسة عشر سنتيمتراً والرؤية حسنة : رغم الثقل الخلفي .. أنت تستبدل أقراص الإضاءة وتدخن مائة سيجارة في اليوم .. أمك وأبوك وأخوتك خطوط خارجية اقطعها واسترح .. سائق عربة أمك رجل –أبوك –رجل .. هو أبوك .. يحب مجد نفسه على أعناق صالحة للتوسل .. لم تسمعك أمك من أجل زيوت وشحوم العربية .. ناهد ، عربتي المفضلة لكنها لا تخالف المرور .. حتى الأنوار الجانبية منطفئة لمصلحة عيون سائقات في الخلف ، عيونهن من الأمام مفتوحة . والطريق طويل .. هات ما عندك .. الابن يخفي نقوده من أجل نفسه ، ويخفي في جيوبه علبا للسجائر وللكبريت .. وصورا ممنوعة .. وأوراقا ملونة – إعلانات المسرح والسينما – .. قال لي كم من الأموال تدخر ؟ أين تذهب ؟ من هم أصدقاؤك ؟ هل تشرب ؟ هل تدخن ؟ البيوت كثيرة فهل تمارس الدعارة ؟ خبرني .. خبرني .. إن الله .. إن الله .. إن النبي .. حكى عن .. عن .. عن .. روى أن .. روى أن .. قال في الأثر .. من حكم الصالحين .. أما الأولياء .. وأما الأصفياء .. هكذا سار من كانوا قبلنا فلماذا نرفض .. ؟ .. يا بني أقم الصلاة و .. و.. و نجعل لك مقاما تحج إليه الناس للبركة .. مساجد المنطقة تستقبل رجال الطرق الصوفية .. ، وإذا كنت من الشبان المتحررين فأنا برئ منك .. إذا كنت عصام في نظر نفسك فأنا لا أريدك ناهد على الناصية تأتي وتروح .. زميلة قديمة .. في الشارع .. في كلية العلوم.. ثم تركن التعليم معا لأن الفشل لزمني معها منذ السنة الثالثة .. وخلقنا من العجز مجدا .. تفجر الشباب .. القيام ببعض النشاط

مع أحد الخبراء ، أتخيل العالم فقد السجائر وناهد وسادت الكراهية .. دستور المستهلكين من الشعوب .. يسر القلب أن نلتقي ، كيس الفؤاد يتشرف بالدعوة .. مفتوح ..

– أهلا ناهد .. تفضلي هذه حجرتي ..

– جميلة .. كم هي جميلة .. !؟

– منذ متى لم نلتق .. يا حبيبتي ..

– لا تغلق الباب ..

– أيريبك هذا .. ؟

– إبراهيم زنوبيا .. !

– اطمئني .. قد خرج الآن .. وهو فوق ذلك مجنون .. موهوم .. يريد أن يشيد عالما جديدا بالشعر .. تصوري .. رجل يفكر في تحويل العالم وتحريره عن طريق الشعر .. ألا يمكن أن تطمئن .. ؟!!

**بعينيه اقترب من حافة الكوب .. وأوراق الشاي الصغيرة تسقط إلى القاع في رتابة .. واحدة إثر أخرى .. وعند أول صدمة بالقاع ترتد .. ثم تعود مستسلمة له تماما **

– انتظر يا عصام .. !

– من فضلك .. هبيني الجزء الأكبر من النعيم ..

– رقتك تقتلني ..

– أرقى ما يصل إليه المرء .. !

– الإرهاق .. فكر قبل الفعل ..

– الموهبة تجعلني لا أمل شيئا ..

– فداؤك روحي .. مجنون من يقاوم الرغبة في حبك .. !

الطابق الرابع تحت الثامن بفارق بضعة طوابق خواء ، أقفال الأسرار على رائحة العجين المنتشرة في جو الحجرة . حرائق اللحظة تجتاح مخيم الأعمار .. ليت لحظتنا تطول يا رفيقة .. وقارب أعوامنا يتأجج بين الشطآن .. مائة عام

دخـان .. ومـائة عـام رمـاد .. تتلقـفنا شطآن من شطآن .. مطرود من جنة أبي وجمهورية أمي .. نعيش اليوم مع ذكرى أعوام وجدت فيها نفسي .. الوجود الأول من الضيـاع .. والوجـود الأخيـر استـمرار من الأول .. ناهد .. يا روح الخلاص المنشود .. عطر غير مرئي يكون ذاتية الباحث .. أبوك عليه اللعنة فوق زمانه .. ذكريني .. كم مرة عبدتك روحا وجسدا .. ؟! أنا عابد .. طفل .. محتاج إلى دفئك وحنانك ..

– اغفري لي يا ناهد ..

– الغفران ذنب آخر .. فمتى نتزوج ونتوب .. ؟!!

– وهل تاب آدم .. ؟ ..

– دعنا من آدم .. خبرني .. آخر أفعالك ونشاطاتك ..

– شحنات جديدة من المعدات والأسلحة الحديثة .. سوف تصل الميناء الشرقي خلال أسابيع .. الأرقام معي ..

– رائع .. أعطني الأرقام .. !

– خذي .. كم كلفتني .. !

– هي .. اسكت ..

– ماذا .. ؟ ..

– لقد تحدثنا بحرية ممنوعة ..

– لا خوف .. !

– هيا نخرج إلى البحر ونتحدث كما نحب ..

– هجرك يؤلمني ..

– أنا في خدمة الثامن دائما .. !

الشمس قرص ذهبي يرقص الباليه على شراع مركب صيد .. البحار الصغير ينشر شباكه بعد رحلة طويلة .. يناير يلف الغلام بالريح ونداء أبيه والعمال .. رمال أبي قير لينة طاهرة .. نجارون مهرة .. في قوة الحديد .. أكشاك الشاي متناثرة على طول الشاطئ .. عبير السمان في الطريق مع بائع جوال ..

دخان الدفء يفوح من الأكواخ بأصوات مجلجلة بالضحك والنكات .. الرفاق حول موائد فقيرة يلعبون الورق بحماس .. سراويلهم سوداء طويلة ، وصديري بأزرار مفتوح الصدر .. وطاقية بذيل من الخلف .. افتح صدرك واستنشق رحيق كفاح الصيادين أمام تيارات الريح .. أربعة مدافع قديمة فوق قلعة عرابي .. الربوة الناعمة .. اعتصم بالربوة ورقد على بطنه ليحارب إرادة الجلادين .. تاريخ .. ومن يملك الأشياء الجميلة لا يندم .. كل فعل حسن .. الضمير راقد في حجرة اللذة مرتاح البال .. دعني أمر .. دعني أفعل كل الأشياء مادامت ستعطيك مستقبلا .. مسكين من يفهم أن الفكر قال شيئا ينفع .. البحث عن المليم هو هدف الحي .. المليم أكبر خالق لكيانك .. مت في حرب .. مت في ضاحية لا يعرفك فيها أحد .. تراب أبى قير ناعم على الخد النائم في استسلام .. لا تبالي بما تفعل فأنت مليم ضائع يبحث عن المجد بروحه .. الحلو باق في الشعور .. أبوك قرش يبلع أسماك الأطلنطي ويفكر في أسماك النيل .. أختي ستموت بالمرض .. كل الأزياء الحديثة حرام .. ولا مواجهة بين الذكورة والأنوثة .. حواء يعني الفناء في الخدمة .. حواء عنده .. ممنوع الاقتراب أو التصوير .. البنت منطقة محرمة .. البنت تخرج وحدها إلى الشارع جريمة العصر .. والمؤسم والجيل .. عصام ابن فاسد يريد كسر الدين .. لا تكلمني ، لا تأكل معي ، أمك في انتظارك عندما يموت سيدها .. وتعود لتلم شمل الأسرة بالروح الجديدة .. أخوك تحت رحمة أبيه مشلول .. حتى الهروب فكرة جهنمية من خوارق العفاريت .. ناهد زميلة العلوم والفشل والحب .. أمل مليون جنيه وفيلا على جبال لبنان .. نقلوهم بالطائرة وهم يحملون جوازات سفر دبلوماسية .. علينا تطريز العمر الباقي .. شباب ربع قرن سينطوي في لحظة قادمة .. يا عنق لبنان .. أنت لي .. وحدك لي .. يناير يمشط شعر ناهد إلى الخلف .. أما كازينو " المنتدى " والشمس تقف في وجه مرور السحب بإصرار عجيب ..

– ما رأيك ندخل الكازينو ..

– لا بأس ! ..

– هيا !! ..

خطواتنا إلى روح يوناي قديم ملازم في خدمة (المنتدى) . عم سلطان البواب في كفة مصر العليا .. بالوعة الأسرار مملوءة بالروائح والسجائر والأوراق .. عيناك في عيني .. لا خوف .. لا .. لا خوف .. لست عفريتا كما ظن أخي .. خذي أنفاسك المتعبة بسنوات النضال في المليون جنيه .. أملنا المتحرك على جبال لبنان وعشب أراضيها الخصيبة .. أوراق النعناع .. لا بأس .. جلسنا متقابلين ثم فتحت الحقيبة برفق ..

– خبرني يا عصام .. هل لديك معلومات أخرى غير ما في الورقة ..؟

– لا .. وأنت ؟!

– لا شيء الآن .. !

– ... والطوافون .. ؟ ..

– عمارتنا مأمونة جدا .. كلهم مدرسون وتجار خيش وبلاط وموظفون بالدرجات المتوسطة .. وعم سلطان الحارس أنت مطمئن له طبعا .. !

– تجربتك في العمارة أسبق مني ..

– اطمئن .. كل من في العمارة لا يستحق الاهتمام .. تعرف إليهم ..

– لا أهمية لهذا .. !

– كيف حال أمك وأخيك و أختك .. ؟ ...

– أنت قاسية منذ تركتهم لا علم عندي .. المهم أمك أنت وأختك ..

– الشلل مقرف يا عصام .. !

– هكذا باستمرار .. يؤلمني منظرها .. وأمي بجانبها تخفف من آلامها ..

اللعبة في حقيبة يدها .. الجيش والأسلحة بالعناوين نامت في وداعة الحمل بين ثنايات الحقيبة .. تحسست جوانبها من الخارج ونقرت عليها .. لا تطلقوا صفارة الحرب قبل إعلان نتيجة الامتحان .. المليون جنيه .. إنها النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبات الشرق .. هل تذكر القصة ؟ إنها بنت في الإعدادية وجدوني حول عنق شرفها أهز النخيل ليسقط الرطب .. أوه عفوا .. لقد أفزعتني

أمها بالقبض علىّ والتهمة .. هل كنا مرتبطين .. وخطب أبي في جموع الوافدين للعزاء في نكبة الابن .. أيها الناس .. عصام ليس مني ولا أعرفه .. ماذا كنت أنتظر ؟ .. آه .. لا أهمية لذلك .. الصحفي القديم قابلني على الفور .. ولأول مرة أفكر بطريقة رائعة .. بحرية قررت مستقبل أيامي .. إنه أمر سيىء لكنه كان الموقف الأخير .. من فندق إلى لوكاندة .. من بنسيون إلى لوكاندة إلى فندق .. وأخيرا .. حجرة في الثامن في عمارة بأبي قير . الطوافون على مواضع أقدامنا يطاردون الحلم المنشود .. هذا أنت وهي أمام مائدة مشتركة في عمارة مشتركة .. الطابق الثامن يضغط بيده على جبهته لكي يفكر أكثر وأعمق .. والطابق الرابع مشغول بتتبع همسات رواد الكازينو .. علقت بمشجها أكثر من نكته وأعادتها على مسامعي .. لنضحك في صحة اللقاء ..

– مسيو نانا .. يا جرسون .

– نعم .. أستاذ عصام ..

– ألم تحلم مرة بعرابي .. ؟ !

– عرابي مات ؟ .. هاها ..

– ما هذا السؤال يا عصام .. ؟ !

– وأنت يا ناهد .. ألم تحلمي بعرابي أبدا .. ؟!

– التاريخ .. لا يحلم به أحد .. لماذا تسأل .. ؟

– نتسلى ؟؟ !

– هيا نخرج إلى الشارع ..

يتوه ويندم .. اليقظة بسيجارة تلمس جدران الرئة .. الشارع أمام (المنتدى) مسفلت لميع .. خذ قدميك وابتعد قبل أن تغوص في الرمل . راقصة الماء الذهبية تجفف شباك الصيادين المنشورة وتنشط أجسادهم .. زورق بخاري قام برحلة .. رجل وثلاث فتيات في الزورق الملآن بالهتاف للحب .. ليت السائق يتخلى لحظة وأقوم بدور المرشد .. السيقان إلى السماء ترفع أكف النجوم إلى فوق .. اضحكن يا قلب الأمان ..

– ناهد .. !

– نعم يا روحي .. !

– ما رأيك .. ؟ ..

– مثل هؤلاء .. !

– شبابنا يستحق المتعة .. شيء لابد منه ..

– هيا بنا .. إلى اللقاء يا مسيو نانا ..

– مع السلامة .. يا بلابل ..

– الفل .. الفل .. الفل .. عقد الفل بقرش ..

بائع الفل يحوم حولنا مثل العنكبوت .. الفل .. عطر جبال لبنان .. جفت رائحة السمك الميت .. بكالوريوس علوم محروق .. أمه لن تموت قبل أبيه .. يا بائع الفل يا مضطهد .. أثبت قدرتك على الحياة والناس يهربون منك .. إبراهيم زنوبيا قدرك المحترم .. دفاع ميت على قلعة الحرمان مثل عرابي ميت التاريخ .. ناهد بين يديه .. عمر وشباب .. بحذر في أول الأمر .. ثم بمزيد من الجرأة .. لأنك معي تقفزين معي كل الحدود .. الشبكة تجوب البلدان والبحار .. الأبيض والأحمر والنيل والفرات .. خطوطنا أكثر حرية من زنوبيا .. يا عقد الفل على صدر حبيبي .. عيون الناس .. ما أشقاني .. العيون تقدر على سجني .. والإعدام أسهل الطرق .. اصمت .. اخرس .. أنت في حرم الحب ، خارج حدود بلادك الجوانية .. معك ناهد .. لا تخف .. لن تخسر .. لن تعدم .. لا سجن للحب .. سيكون شيئا رائعا لو شاهدنا عرابي يسقط الآن من فوق الربوة .. لا عرابي ولا زورق .. ناقش مسائل الجنس أفضل من ثرثرة الصمت .. فتح مغاليق الغيب ، وشم رائحة إبليس بأصابعه الممتدة تحت الثدي ..غلالة العمر المهمشة .. أنت أول مدفع دمر الغلالة .. أول ضابط في الميدان .. بارودك مجنون .. لا .. بارودة عاقل .. مد يده إلى شفتيه وسأل المعتوه .. هل من يفسد باروده من أول طلقة يسحبونه من الميدان ..

– عصام يا حبيبي ..

– ماذا يؤلمك .. ؟ !

- أنت سرحان ..
- كلا .. كلا يا روحي ..
- هيا نعود ..
- إلى حجرتي .. إلى الثامن ..
- هل أنت بحاجة إلى .. ؟ !
- أريد أن أرى المدينة كلها ..
- ارفع صوتك .. لا أسمعك ..
- لابد .. من رؤية المدينة كلها ..
- أنت تلهث .. أنت مرهق .. سنقوم بجولة تكميلية في يوم آخر ..
- أنت قاسية ..

**** مد شفتيه إلى أول رشفه .. ****

عمارة الحب عالية .. تتلخص في الآتي .. عشر طوابق بمدخلين متقابلين بينهما عم سلطان على دكته الخشبية .. حركة الداخل والخارج توحي بعالم أجوف .. الأقدام سريعة والأقدام مبتورة .. " البويك " و " المرسيدس " أمام المدخل الواسع .. أولاد الأحياء الشعبية يفدون إلى العمارة للنزهة تحت ظلها الواقي .

- اذهبي أنت .. وسأثرثر .. أنا مع عم سلطان .. أنت أنت .. وسأثرثر .. أنا مع عم سلطان .. قبل أن يلحظنا أحد .. اذهبي ..
- الطابق الرابع .. في انتظارك ..
- " أرفوار " ..

حبات المسبحة تجري بين أصابعه الخمسة في خفة ورشاقة .. متصوف يا عم سلطان ..

وهل ينفع التصوف في عالم اليوم .. ؟ جلبابك أبيض وقلبك .. ؟ أنامصاب بلزجة الأصابع الخمسة .. وفمي مخنوق ولا يستطيع لساني أن يتحرك بالكلمات الخفية ..

– خبرني يا عم سلطان ..

– نعم يا أستاذ .. أية خدمة ..

– كيف يستطيع عازب مثلي العثور على مطالبه الجاهزة .. ؟ !

– الدكاكين قريبة من هنا .. هل تريد شيئاً .. ؟ ..

– ومن يحرس العمارة ..

– البنت محروسة . مثل الصاروخ . . يا محروسة .. يا محروسة ..

– نعم .. يا أبي ..

فتنة مفزعة .. يعني فيه تشابه .. لم أكن أعرف أن الحظ سعيد ..

الأستاذ عصام .. الساكن الجديد مع الأستاذ إبراهيم زنوبيا .. الثامن ، حذار أن تهملي طلباته ..

– أنت محروسة .. ؟ ..

– نعم يا سيدي ..

محروسة يا موكب الربيع الجديد .. ملعون فقر أبيك .. النهدان بارزان باستواء واحد .. صدر عريض يتلهف لأذان الفجر .. حدثيها يا عمارتنا .. كم نجد في بحار اللذة من مزاج ..

– خذي وأحضري لي أربع علب سجائر وعلبة سردين ..

هزت رأسها ومضت .. صاروخ حافي القدمين في سن البلوغ .. ألف ألف خسارة يا بنت المسبحة ..

– ما رأيك في الحجرة الجوانية يا أستاذ ..؟

– الحق يقال .. عمارة جميلة وموقع ممتاز .. وجار طيب ، وبواب مؤمن شهم .. ألا يكون كل هذا نعيم باق ..

– استغفر الله يا أستاذ .. وأنت شاب عاقل ممتاز .. لا تعاكس أحدا من بنات العمارة .. والحمد لله ..

– موقع العمارة هادئ جدا للمذاكرة ..

– كم كنا خائفين منك في أول الأسبوع ..

– خائفين ؟!

– الحجرة الجوانية .. لها تاريخ مر في العمارة .. سكنها من قبلك فاشلون وسكارى ، وسببوا للعمارة قلقا دائما .. أنت جئت لتطهر المكان بأخلاقك ... (نبي العمارة المنتظر .. يا من يشتري لحم بني آدم .. أمريكا في إفريقيا .. سائح يشتري العبيد بالدولار ..) ..

– أسرعي يا محروسة ..

– السجائر والسردين .. تفضل .. والباقي ..

– لك الباقي .. يا حلوة ..

– الله يسترك يا أستاذ ..

– قل لي يا عم سلطان .. ؟ !

– نعم يا أستاذ ..

– هل توجد فئران في العمارة .. ؟ ..

– فئران .. ؟ . لا يا أستاذ .. اطمئن .. عمارتنا أنظف عمارة ..

– مطاردة الفئران مهمة جسيمة .. أليس كذلك ؟!

– طبعا .. طبعا .. مع السلامة يا أستاذ .. !

عيونها كليوباترا .. رقبتها نفرتيتي مثل الشهد .. " الأسانسير " مربع صغير لا يرحمه أحد .. على الحائط أرقام .. وقف وفتح الباب ودق الجرس ..

– تأخرت يا عصام .. !

– عم سلطان .. محروسة ..

شهور قبل أن أعود إلى هنا .. كنا زملاء كلية العلوم ومشاكل المحاضرات .. قبل أن يطلق أبوها أمها ويعشق وزارة الصحة .. صورة أمها وهي طفلة عارية مدخل الصالة .. البنات والأم صورة انتزعوا الأب منها حيث كان يقف إلى اليمين .. مسحوه بسائل ألماني سريع المفعول .. الأم على مقعد بمسند عريض تحيك جلبابا حزينا .. إيمان الشقيقة الصغرى لناهد .. مراهقة .. مصابة بالبله .. تسمع الراديو .. حجرتان وثلاثة مقاعد بلا أرجل .. اليد العجوز حركت الستائر

وألقت بلسانها إلى الشارع . من مات يا بنت ؟ .. من أصيب .. ؟ الأمر لله .. الناس مجانين .. صنف ملعون .. أنت مرتاحة البال والله يا إيمان .. لا زوج يقلق راحتك ، ولا مطلق قديم يعذبك -أبوك - في المحاكم .. لا مشاكل في رأسك من هذا النوع . لا جدوى من رجال مجانين . الحلم بزوج صالح تعذيب ببطء .. لك الله يا ابنتي ..

صاحب ناهد بفزع .. ماما .. الأستاذ عصام وصل ..

- عصام .. ؟ .. لا أصدق .. ! .. زوج ابنتي ؟ !

- كيف حالك يا ست خيرية .. ؟

قبلات المنفعة لا تسد رمق شاب طموح .. ومسألة الزواج تدلت على بلاط الصالة أكثر من مليون مرة .. نحن سعداء حتى بدون أمل الزواج .. خذي طفلتك بجوارك .. ما قيمة الورق .. الزواج المزعوم .. شريعة .. علاقة جنس بورقة .. تصريح مبهم لأسوأ صفقة بيع في قانون البشر .. الحب حق شراء الأنثى بالورق .. ما رأيكم ؟! بنات حواء في صفقات مصدق عليها من قبل الحكومة .. عار .. فضيحة .. نزق القضاة .. مسيو نانا له بنت راقصة في (المنتدى) اسمها لالا .. وبالتأكيد قالت لالا أنا من أنصار التربية الحديثة ..

- وأنت يا إيمان .. كيف حالك .. ؟

- أفكر في مشروع يا أستاذ ..!

- جميل .. قولي .. يا إيمان ..

- ألم يحدث بينك وبين ناهد خلاف .. ؟ .. أتضرب ناهد . نحن أسرة ماما .. حذار أن تفعل .. بنظرة احتقار قالت ناهد: يا مجنونة . يا مشلولة .. اسكتي ..

- لقد حاول رجل أن يتزوجني .. أتعرف لماذا أرفض ؟ !

- ألا تسكتي يا ابنتي .. ؟ !

- يا مجنونة .. كفي ثرثرة .. هيا يا عصام إلى الحجرة الثانية ..

- دعوها .. دعوها أنا سعيد ..

- تعال يا أستاذ إلى الحجرة الثانية ..

– ما رأيك في المشروع .. ؟

– سأبقى مع إيمان قليلا .. ريثما تهدأ .. مثل أختي ولابأس .. أنا سعيد .. المكان مزكوم برائحة ميت قام لتوه .. انسحبت كل العيون المعارضة واقترب من اللحظة .. دس يده في مقبرة الميت الذي نهض وسأله الصبر والسلوان إلى حين .. عيونها وبين الكتفين بلاط حمام عريض ..

– أستاذ عصام .. اسمع كلامي .. أنا أفضل من المطلقات .. الزواج عيب .. اسأل في الاستعلامات وستعرف .. أنا أقرأ الصحف اليومية . السياسة القذرة . برامج الإذاعة في صفحة الوفيات.. حتى اعلانات التائهين.. الحرب في الصيف..

هاها .. ناقشني في المعاشات .. أبى طلق أمى وهي تحلم به كل يوم .. أمى تقول مات .. وورثته أمى .. موتي يا أمى وتنتهي مشاكلي وأنفذ المشاريع ..

– هل يعجبك هذا الكلام ..

– دعوها .. تتكلم كما تريد ..

– هيا بنا يا ناهد .. سننتظرك يا بني في الحجرة الثانية ..

– هيا يا عصام .. !

– .. سألحق بكم بعد دقائق ..

– ما رأيك في جمالي ؟!

– أنت فاتنة .. رائعة .. مدهشة ..

– وناهد .. ؟ ..

– أنت أجمل وأرق ..

اللعبة .. اقتنص خرافة الجيل وأسرق لحظة الثانية الحالية .. لا تردد .. أنت ذكي وحر ، وبيدك خلاصك . وعذرك مقبول .. لا تردد .. اهمس في الأذن ..

– أعطني قبلة يا إيمان .. ؟ ..

– ها هو إصبعي .. !

– لا .. من فمك

– خذها كما تريد .. !

– ؟؟؟؟ ..

– أمعك قبلا أخرى .. قبلني .. قبلني ..

اهرب .. أنت مطالب بتحقيق آمال مجنونة لم تذق طعم الجنس . الطريق إلى الشعر .. بإذن الحجرة الثانية .. قابلتني في شارع مظلم ويدي في رقبة الميت الحي .. ضربت الميت حتى وقفت وقفته الشهيرة وراح يفرغ ما في حوصلته .. قال أبي : يا كلب .. أنت تفعل ذلك .. ؟! .. كان المؤذن ينادي للصلاة والفجر على الأبواب .. لم يفتح الحظ بابي إلا بالنكد والقرف .. طردني أبي إلى الأبد .

– ناهد .. ؟ الست خيرية .. ؟ .. أنتما هنا ..

– أزعجتك بثرثرتها .. للأسف ..

– أبدا .. إيمان مسلية لطيفة .. أنستني متاعبي ..

– مبروك عليك . الحجرة الجوانية .. وعقبال الزواج ..

– بالتأكيد .. عقبال الزواج .. أليس كذلك يا ناهد .. ؟ ! .. أمنياتك مملحة يا عجوز .. ركبي العصور التاريخية وأسبابها والنتائج على فم ذئب .. طريقك المعهود .. التموين والمواصلات إلى الزواج .. مغفل في بئر حرمان مفتوح .. أطربي بالأنباء القادمة .. الطابق الرابع تحت الثامن بمقدار الفارق بين عيون كليوباترا ورقبة نفرتيتي .. يا مسيو نانا .. هي .. لا تقل لأحد .. يا إبراهيم زنوبيا اكتب شعرك واضرب تلاميذك . انصت .. أنا مطرود محروم .. عليه اللعنة .. عم سلطان راقب حركة مسبحته من كشاف خلفي وأعطاني التقرير .. محروسة هلمي إلى مقعدك بين الكواكب .. صاروخك حافي القدمين وعيون الغزال.. ناهد ؟ .. لا .. أنا حر .. لا تضربي أصابع يدي .. فقد ساحت لزجة الأصابع الخمسة إلى الأبد .. نحن في عمارة.. العمارة الجديدة شارع معروف.. ألا تفهمين ذلك ؟!

**** لسعته سخونة الشاي .. فأعاد الكوب ..... ****

آه .. آه .. تثاءب ، تثاءب .. ما ألذ الراحة " تمتع بشبابك الخنفسي كما يقول الصحفي القديم .. انشط والعب وازرع واقلع ديدان الورد من البراعم .. لا تشرب سما من يد أحد .. حتى يدك .. أنت متهم بسوء الخلق ؟ . أي خلق يحبون

من يعشق جارته متهم .. باعك أهلك .. حقير قديم من جيل المآذن .. ماله يرى عورتي ويتحدث بتأفف قدام الناس ؟ .. لا أحب سوى العميان يا أم .. هكذا خلقت .. يا ولد .. يا ولد .. اذهب خارج البيت ولا تعد .. أريد ناهد .. لا تقل أين ستعيش .. أنت ابني .. أنت مت .. يا رجل .. حلال عليك حرام على غيرك .. عصام مات ونسى موته ، للأم قلب .. أنت تذبحها برجولتك .. أب .. أب .. لقب قذر .. حمله عامل على رأسه وألقى به في صندوق القمامة ، ومرت عربة البلدية ، رائحة العفن قالت الناس . افتحوا عيونكم على لعبة النهاية . وصفق الجمهور .. خرج الولد الكبير إلى الشارع يدري أنه لا يدري ، ناهد على رأس الشارع مضى وقادم وباق .. أهلا بالحظ ، الصحفي القديم . رجل ذكي أصلع ، صدر مفروش بالشوك ، مفتوح لكل من يخدم فكرة . خبايا الناس في رأسه تدور بالأرقام ، والحروف المبهمة وسيلة المواصلات الوحيدة .. السياسة في برشامة يبلعها ويرسلها في ثانية إلى أمريكا . جاء ما يلي ، س ، ع ، د ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٣ ، جهاز دقيق في قلم حبر جاف ، في جوف الليل يرد الهاتف ، الخرائط والصور تذهب وتجيء .. فتيات وشبان ونساء وشيوخ .. الكل في ذبذبات اللاسلكي بأمل .. رائحة التقلية آتية من تحت الباب .. آه .. آه .. إيمان .. فاسدة العقل ، الطعم حلو والمذاق فنان ، الحرية مضمونة في معاهدة دفاع مشترك ، محروسة صاروخ تائهة بلا عنوان . سرن أمامي يا ملاعب الجن .. الأمطار الشتوية تزعق في الخارج ..

– من يطرق الباب ؟ .. ادخل ..

– أنا زنوبيا .. ماذا تفعل .. ؟ ..

– تفضل .. هل معك سجائر .. ؟ ..

– معي .. ! .. هل كنت تذاكر .. ؟ ..

– الكتب ملعونة .. والأساتذة يبيعون الحروف وعلامات الترقيم .. تصور ؟ !

– كم كنت أقاسي مثلك .. ؟ .

– أنت ؟!

– كنت طالبا بالصيدلة .. كلية الصيدلة .. ! .

– أنت .. ؟ .. متى كان ذلك .. ؟ ولماذا تركتها .. ؟ ..

– انتظرني مجد طويل .. لكن غاب صاحبه .

– هل فشلت .. ؟ هاها .. الفاشلون كثيرون .. هذه مسألة بسيطة ..

– وكان ، الشعر ، !

– الشعر الذي تحدثني عنه دائما ؟ !

– هو السبب الوحيد .. الفن يا صديقي لا تملكه ولكنه يملكك . أنت مباع بلا ثمن ، لحظة خلق واحدة تساوي مليون مليون شهادة جامعية . أو دكتوراه .. الفن ثورة باردة .. تذكر ذلك جيدا ..

– شيء غريب .. ؟ .

– مدرس .. وموظف بالطيران .. وشاعر غملاق ناقص شهرة .. موظف بالطيران لأني أجيد الفرنسية والإنجليزية ، ومدرس لأحسن مركزي المالي .. وشاعر لأن الشعر رزح الحياة .. ما رأيك .. ؟ ..

– هذا رائع ، لكن متى تدرس ، هل تجد وقتا لذلك ؟ !

– سيأتون إلى هنا .. واحدا بعد الآخر .. في عمر الربيع .

وجه .. عروق تبدت في الوجه المفكر باطمئنان . نصف إنسان ، ليس معه أهله ووطن نفسه على الجهاد . هل تراني أستحق الذكر ، أبصق . أسقط ، أقتل .. رش ملح السردين الأصفر .. ذق طعم الحريات يا مجاهد .. لا حرية لك من هنا .. شركة الطيران العربية لا تحمل الناس إلى أماكن معلومة .. وجه معروق من دم عرابي وتنهدات أجيال ولت ؟ ..

– لم تخبرني .. من تكون ؟

– أنا .. ؟

– نعم أنت ، عصام الترجمان .. لكن .. من تكون ؟

– طالب بكلية العلوم ، وأعزب ..

– من أين أتيت .. وأهلك ؟

– الأصل من قرية المهاجرين .. والأهل هناك طبعا ..

– المهاجرون أصدقائي .. أهلي هناك ..

مأزق .. ! حظك معك يلعنك ، ملعون أبوك يا شاعر .. يا نذل .. اسحبه على وجهه واغسل ذاكرته ..

– ألم تكتب شيئا جديدا .. ؟ .. أقصد .. قصيدة جديدة .

– الشعر روح .. وبلا روح لا نعيش ..

إلى تمثال نفرتيتي ، وجهه صوب الحائط .. قال له يا عبيط وسنوف يصدق . جميلة ومذاقها .. خبيرة في شئون الحب ، سمكة بللورية تغوص في قاع بحر أزرق ..

– ألم تجرب مرة يا أستاذ عصام ؟؟

– الفن لأهله .. والصيدلة دليل وبرهان ..

– آخر ما كتبت .. قصيدة بعنوان " جئت أسمر " ..

– اسمعني يا أسمر ..

– جئت أسمر ، شكل قومي ، رسم جلدي ، جئت أسمر .. إفريقي عربي ، جلد أسمر ، دم أحمر ، جلد أبيض ، دم أحمر ، فتحوا قلب إفريقي أسمر ، إسفنجة حية تقطر ، حرية أسمر ..

– يا سلام .. رائع .. يا بطل إفريقيا يا حر ..

– أشكرك يا صديقي .. اشكرك كثيرا .. ويبدو أنك آخر صديق سأعتمد عليه بقية عمري ..

– ألم تطبع ديوانا ..؟ ..

– مات خجلا والدموع على منحدر ، فتح فمه مخنوق الحروف وهتف ..

– سأطبع ..

– ألف خسارة .. !!

– الفن ثورة باردة .. انتظر الأيام يا عصام ..

– لكني لا أشك .. إنني قرأت اسمك مطبوعا يوما .. يوما ما .. قرأته

مطبوعا..

– اسمي أنا ؟ ..

– نعم .. !

– إبراهيم زنوبيا .. ؟

– نعم .. !

– الشاعر .. ؟ ..

– نعم .. !

– ويقرأه الناس مثلك .. ؟

– نعم .. !

– متى .. ؟ وأين . وكيف .. ؟ .

– لا أذكر بالتحديد .. ؟

– وكان مطبوعا .. ؟ !

– في كتاب .. !

– تذكر .. تذكر .. إبراهيم زنوبيا الشاعر مطبوعا .. ؟ ..

– نعم ..هو ذلك بالتأكيد .. !

– بربك لا تعذبني .. متى كان ذلك .. ؟

اغرق في بحار التيه ، لتنسى قرية المهاجرين والأصل ، حالم ، ساذج ، يا شاعر ميت حي .. تورمت عيناه في آخر نفس يبتلعه بضعف .. بلاهة ، أغمض عينيه ليجفف عاصفة الحيرة ، داخ .. أطرق برأسه إلى الأمام . صمت . السيجارة تحترق بين أصابعه كأنه مسحور .. على الحائط ورقة رسم معلقة . ديك يؤذن فوق عمارة .. إمضاء ماجدة . هدية من التلميذة المخلصة جدا إلى أستاذها المخلص جدا . برواز مزركش مدهون بالأسود والأصفر .. جوارب قديمة تحت الدولاب ، وحذاء مترب مقلوب على وجهه ..

– ربما قرابة عام .. !

– عام بالضبط .. ؟

– أو اثنين ..

– عامين بالضبط .. ؟

– وربما ثلاثة .. !

– يا للخيبة .. يا للحسرة ..

أطرق يفكر ، حرب ضد نفسه ، وفي الطرف الآخر ، أقمشة متهدلة تجرجر على الأرض . حقيبة جلدية سمراء مفتوحة . صرصور خبيث يعبث بالملابس دون حرج .. خراب حقيقي .. رائحة التقلية من جديد ، نافذة المنور رؤى وروائح على عالم العمارة كله .. واحد .. اثنين .. ثم ثلاثة .. وفي الرابع ناهد .. يا رب .. الحكمة تلكمه فهبني القوة ..

– وربما قرأت ذلك في مجلة ..

– أنت قلت .. كتاب ..

– لم أجزم .

– على أية حال أنت لم تخرج من نطاق مطبوعات صدرت منذ ثلاثة أعوام .. والبحث في ذلك قريب المنال ..

– معقول .. !

– لكن .. ألا تذكر شيئا . أقصد محتوى الكلام المكتوب ..

– بلا شك .. كانت مقالة رشيدة في النقد ، وتحليل رائع لقصائدك واتجاهاتك الفنية ومستقبلك .. و ..

– ترى من فعلها من رؤساء التحرير .. ؟ !

اركب قطار اللحظة . إلى الصيدلة . إلى النقاد . إلى رؤساء التحرير .. وفي محطة الصفر أنت إعدام الخيال ، سوف يكون عملنا نظيفا ومطمئنا . عليك أن تبحث عن نفسك في مليون كتاب ومليون مجلة .. وبين ثلاثين مليونا من المطبوعات على اقل تقدير .. قل للثلاثين مليونا .. أنا موجود ، لكن ما هو العنوان .. ؟

– ألك قصيدة في وصف القمر والخيول والجمال .. ؟

– بالضبط .. !

– اعترفوا لك بالشاعرية من أجلها ..

– الحمدلله .. وصلت إلى سلالم المجد ..

– ألف مبروك ! ..

– يا أعز صديق ، ليتني عرفتك قبل سنوات .. توافد على حجرتك الجوانية بؤس زنوبيا كله .. الأول كان سكيرا ، والثاني زير نساء ، والثالث تاجر مخدرات، والرابع لص ، والخامس منافق قذر ، والسادس أكول لا يفقه سوى الإفلاس من أجل الأكل شريعة ، والرقم الأخير هو انت .. لم يكذب إحساسي أبدا .. سأضع رأسي وعمري بين يديك يا أحب إنسان ، هذا سري . ومستقبلي وكلماتي .. لو أن المفلس يعثر على كنز .. لو أن العمر يباع بالعقل . كم عذبتني حجرتك الجوانية .. سنوات ..

– وماذا عن أسرتك يا شاعرنا العظيم ..

– ماتوا .. !

– كلهم .. !

– شب حريق .. ومات الحاضرون الا الغائب .. أنا فقط ..

– ألف رحمة .. وأنا أخ في خدمتك ..

– وأنا أخ في خدمتك ..

أين أنت إيها الصحفي القديم لتطمئن على مستقبل عملائك يا ناهد ، تفرجي على أمتع فصل في دور الأبله على مسرح الأوبرا في الطابق الثامن .. حجرته أوسع ، مكتبه ، دولاب ملابس ، سرير عريض لجسد نحيل .. مجلات أدبية مبعثرة .. تليفون قريب .. نتيجة حائط شركة الطيران العربية .. يناير يصرخ من خلف النافذة .. رائحة التقلية في أحسن حالاتها ..

– السماء تمطر .. ألا توجد مدفأة .. ؟

– موجودة .. ولكنها في حاجة إلى بعض الإصلاحات ..

– سأتولى ذلك ..

– عنك كل شيء .. أنت تذاكر لتشرفني بتقدير ممتاز ..

اطمئنان بالغ مصدره ثورة الفن ، سذاجة مواليد سابقة .. مغفل أبحث عنه ، مجنون يحب الفن والمديح .. عيونها .. عيونها .. يا ساتر .. يا محروسة أنا صدر حنون .. لا .. لا تخافي ، نامي على راحة يدي واستحلبي عصير حياتي .. وبالأقراص لا تندمين ، عودي إلى قاعدتك .. تقابلنا مصادفة ولم يكن بالشقة أحد، سحبت يدها إلى الميت الحي ، وقاومت عضلات عظامي .. وقف الميت وأشهد الصمت أنه يضارع جميع شبان العمارة .. اللذة تأتي عقب اللذة .. ما رأيك ؟ .. وسبع ساعات في محاولة لإخراج الميت الحي من قبو المرح .. ضحكنا لأن البنت لم تضحك قبل اليوم .. آمنت بالله والترجمان .. ساعدتني في الحلم المنشود ، رقصنا معا في ملهى ليلي وامتزجنا أكثر من أى وقت مضى .. وصلينا المساء في مسجد بلا مؤذن .. كان الوقت ملائما ، والشتاء يزمجر ، يا محروسة اعقلي لقد تزودنا بالإخلاص وهذا هو سر النجاح .. الصحفي القديم رسالة المليون جنيه .. بضعة اخبار .. جبال لبنان .. أغنيات الربيع ..

– من هم جيراننا يا أستاذ إبراهيم ؟

– الشقة المقابلة أسرة تاجر بلاط ثري ، لديه ولد وبنت في دور المراهقة بالإعدادية .. سيأتيان بعد قليل للدرس العربي .. تخاف الحزن .. تخاف الصوت المفزع .. فتاة رقيقة مثل موسيقى بعيدة اسمها ماجدة سمك .. وبقية العمارة تضم مهندسين وعمالاً وتجاراً وأرامل ومرضى الشيخوخة وأصحاب أرض زراعية .. وطبعا عم سلطان يقيم في البدروم مع بناته الخمس ..

– خمس بنات .. ؟ !

– المسكين يبحث عن أزواج لهن عند بقية العمارات ..

– آه يا عم سلطان .. بوابات خرابك خمسا .. أيامك السود قادمة .. ومحروسة ؟

– محروسة هي أكبر بناته .. ؟

– كلا .. الرقم الثالث في القائمة ..

شباكك معقود عند الأرداف .. رياح يناير .. جوانب الزجاج المشروخ تقتل ..

الغثيان الذي رآه الناس كان في انتظار الغريب وجودو ، خذها من الطرف الذي لم يربط بعد .. أنت ابن التراب الناعم .. أبو قير .. وطنك .. أبوك .. قال القرن العشرين : اخرج .. ذهبت إلى مكتب بريد .. يا خبرتي أين أعمل .. ؟ ثم اعتذرت الصيدلية . وشركة أخرى ، مغلق الأهداب على مشروع السنوات .. الشبكة .. أسرعت إلى الصحفي القديم وأعطيته غنيمتي ونجاحي .. لا أستطيع تبيان كل سيئات الكون .. كلهم .. كلهم .. يهزون رؤوسهم بالرفض .. العلاقات .. لا .. نعم ، لا .. نعم .. ملحوظة : لا يوجد إله: يوجد سوء النية . طائرة تهبط فوق القمة .. القدرة على الانخراط ، شعائر أبي فوق مصلاة من بلاط الحمام ، ليست العقيدة ، بالصدفة نوجد ونكون ونستمر ثم ننهزم . بالطبيعة يأتي الفعل .. شعائر أبي .. الغاية تبرر الوسيلة .. المطرود مغفور له .. كانت بطوننا .. مذاقا مثل الشهد ، مذاقا ومذاقا .. الكفن الواحد .. الشبكة طظ .. إلا أنا .. مات عرابي وأكله دود الأرض . الكف العاري تافه .. فرصة الراحة ، هل أنت خائن ؟ لا .. نعم .. لا .. نعم .. تبيع وطنك لتجد وطنك أنت .. الآن .. الآن انتبه .. ابصق في وجوههم .. يا ناهد عندي طاقة من خيبة الأمل .. ساعديني لأتقيأ ..

– انهض إلى حجرتك الجوانية لتذاكر ..

– معك الحق يا شاعر الأنس ..

– متى تستيقظ .. ؟

– لا يهم .. !

– .. والكلية .. ؟ والمحاضرات .. ؟

– سأفكر .. !!

– ومتى تفكر .. ؟

– غدا أجازة .. !

– من قال ذلك .. ما المناسبة .. ؟

– مريض .. مريض .. مريض ..

نور متكسر على سقف الحجرة نافذ من الشارع إلى الداخل .. الطابق

الرابع أقرب إلى الضوء من الثامن .. تكتكات الساعة تحت الوسادة ، الأغطية فوق الوجه الجامد حاجز أمان .. نامي يا أمي .. نامي يا إيمان .. السليم مع الفاسد .. معلومات عسكرية سياسية بأثمان . عصام بلا أحد إلا أنا ، المليون جنيه .. تمنياتنا بالتوفيق نخاف أن تدوسها أقدام الطوافين .. بالسجن المؤبد .. ويل لنا .. انتبهي .. علقي قدمك على حائط أمانيه ، لا أحرمه متعة التداعي ، يا صحفي ترفق بي . لا تلمس .. لا تقترب .. اللهو والعبث لعصام .. كف يا عجوز .. عبثك مجهد .. لياليك سود .. أنفك عريض . جسدك ثقيل .. ذراعك مثل الثعبان .. أنفاسك ملوثة بأكثر من امرأة .. كلامك ممطوط .. عبثك مؤلم . يا عصام .. يا عصام .. اغفر لي .. من أجل المليون جنيه .. أصبح يملك شارعا ، ومقهى وشاطئا للمرح .. نامي يا أمي .. شخيرك يزلزل مدرعات العدو ، ومائة سيارة جيب ، وخمسين طائرة ميراج ، وسبع زوارق طوربيد .. أجهزة رادار .. المكس تبلع ريقها لتحتفظ بالباقي ..

– أخبرني يا عصام .. ؟ .. هل أذنبنا في حق الوطن .. ؟ ..

– أنا أسألك .. ؟ هل تحبين مصر .. ؟ ..

– طبعا .. طبعا ..

– هذا يكفي .. !

– لكنا نتآمر .. !

– نحن نبحث عن وجودنا الحلو .. لا تفكري في مثل هذه الأمور .. !

– ألا تخاف من السجن والإعدام .. ؟ !

– كلا .. !

– أنت غريب .. !

– هل عندك مخاوف أخرى .. ؟!

– كلا .. اتفقنا .. !!

– والحب يا ناهد .. ؟!

– أعبدك .. !

نافذة من زجاج وأخرى من طين .. تكتكات الساعة تحت الوسادة تئن .. شارع الضباب اغنية مقطوعة من الأمام ، عاد بها ملحنها واشترى ضباب الشوارع الجانبية ليصنع مجد ذاته ، خذيها رحيقا من دفء الطمأنينة .. جنة إيزيس في الصندوق .. في الشبكة .. دموع .. دموع .. أغرقت الوادي ، لم تجف بعدها أرض النيل ، أين كنت حقيقة يا أوزوريس ؟ وجدك تحب ناهد بكل آثامها ، تقيس عقارب الزمن .. قال القرن العشرين : العشب الأخضر يجف .. حبي .. مستقبلي شبابي .. جثة جدي دفنوها أمامي .. هزت أمي رأسي وقالت يا صغيرتي هكذا نكون .. وقف رجل بلا قلب وسط حفرة وحمل الآخر على ظهره .. ركع إلى الداخل .. اختفى .. من سمع كلمات القابع .. أنشودة تجيء بالعطر الفواح والعويل .. وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا .. يا صديقات آمالنا.. نموت بالسباب ، ذيلنا مقطوع في التراب ، قال بائع الفل الأريزوني : خطوات السلحفاة أسبق .. يا صديقات ، ماذا فعلتن ؟ .. أنتن اليوم خريجات .. كم عشتن .. كم حرمتن .. اقرأن ذكريات ناهد ولالا بنت المسيو نانا راقصة القلوب .. اين ذيلكن المقطوع .. لا . نعم . لا . نعم ..ماذا ستفعلن أمام فيلا على جبال لبنان – بعلبك– الأبيض هو نوعنا .. أعمالنا سلبية ولا شأن لنا في مشكلات الاغتيال . وثائق .. اخبار .. مستندات مصورة عصام أكبر ثروة ممكنة .. طموح واصرار .. زوج مضمون .. لا يعطي بحساب .. ذكي .. قوي .. عريض .. يضمني في لحظة .. بشرة شفتيه لا تعرف البصاق .. آه يا عصام .. أختي إيمان .. الشلل مؤلم والفضيحة أكثر ألما .. فسكينة تعاني مرارة الخسارة والنكسة .. هكذا أرادوا وكانت إرادتهم .. وقف عشرات من الأطباء حولها وهي على سرير العمليات .. قلت : احترسوا .. قالوا : لا خوف .. ويلتئم الجرح .. أعطوها الأمل وحقنوها بالمخدر .. ثم ناموا .. وكان القدر مصيراً .. شلت وجنت .. أصبحت تقول جميع الآراء في الأشياء .. يا باسط العطاء الذي لا ينتهي ، ارفع هذه المسكينة إلى جنة إيزيس الباقية ..

– يا أمي .. متى أختي إيمان .. ؟؟

– متى تموت .. ؟ يا قلبك الأسود يا ناهد ..

– لكنها الراحة يا أمي .. !

– قلبك مثل الفحم ..

– قولي يا أمي ... !

– تكلمي .. !

– ألست زوجة الرجل الذي تركنا وعشق زوجة صديقه .. !

– اخرسي .. ! .

– لماذا فعل يا أمي .. وأنت جديرة .. ؟ !

– اسكتي .. اسكتي .. لا تتكلمي ...

أقراص منومة ومزيلة للصداع .. واجهة الحائط صفراء أمام العين . رائحة عرق إيمان مثل ميت ترك في الصحراء .. تكتكات الساعة تحت الوسادة تلهث . فاقدة النطق .. في محيطها الدائري عشرون ألف حادثة انتحار وصدام عسكري ومظاهرات وقرف مائة مليون ساكن . زورق أبي قير عليه الفرقة الذهبية لراقصات الشرق بقيادة لالا بنت المسيو نانا اليوناني . اشربوا جميعا بؤس إيمان وحزن عم سلطان .. من يسحب الغطاء للدفء لا يندم .. الأمطار تهطل .. غسيل ودموع ، المعطف فوق الكتفين .. سنغرق يا عصام .. سنغرق .. لا تخافي .. لا تخافي نلعب شطرنج ونجرب حربنا القادمة .. خسارة .. خسارة .. الفراش والأبد والوصال .. هيا ننام .. هكذا نهون .. لك ما تريد .

ارتعشت دقات الساعة ، وماتت التكتكات المبحوحة . فمها مفتوح ، ذراعها على الجانبين ، لك ما تريد . رائحة السقوط بين الذراعين .

طيور في الأفق تقترب .. السماء قنطرة متحركة بين الزبائن والليالي الدافئة ، الناي في عشش الصيادين يغني .. نحن الصيادون .. أبناء البحار ، الأسماك طعومنا المفضلة ، أحقادنا ماتت ، وحبنا كل يوم يزداد .. أولادنا يقفون على الزوارق .. أهلا بكم يا صيادين .. ها هي الشمس تحوم حولنا .. تدور حول نفسها كهاربة .. قلعة او ربوة عرابي .. أكان هناك حقيقة شخص ذو قيمة وطنية

بهذا الاسم ؟ نعم ، لا ، نعم ، لا ، الأديان خرافة والمذاهب السياسية أم الدجل .. نبع العبث .. نباح الأديان كاذب ، رائحة شواء السمك .. هو السمك لا غيره .. حاستك مثل القطط ، رائحة غريبة تنبعث من كل الأركان .. وفي الثالثة تاهت مني آمالي .. شرود ، فكر ، ضيق ، صورتي على الماء تهتز ، ناهد على صدري .. مليون جنيه .. في ذلك الوقت لم أكن معنيا بالسياسة .. وثائق من البحرية المصرية ، واجباتك الأولى تصوير الوثائق ببرودة وسرعة ، أن أبحث عن المجد ، ولد شقي عصى أباه ويخون وطنه ، لتقترب منا أحلامنا ..

– عصام .. !

– ناهد .. !

– سرحت ، ونسيت الزورق ..

– لا تخافي .. لا يجوز أن نموت في ماء مملح ..

– زدني يقينا ..

– اقتربي .. و .. !

إذا كان هناك إله يرى ونبي جاء برسالة ، وملاك يهبط ويصعد من وإلى .. هل رأى أحد صورة الله .. ؟ البحث ممكن .. حتى بالشفرة والشبكة .. ما القيمة عندئذ ؟ .. شكل من الأشكال .. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟ .. أنكرني على مصلاه .. لا بديل للآباء .. معي ناهد ، ارتعشي يا أمي من السلطان .. لا مفر من الرحيل والعبث ..

– انتبه يا سائق .. أمامك زحام ..

– ربنا موجود ..

– ترى ماذا حدث .. ؟!

– عربة صدمت شابا .. الله يرحمه مات .. غطوه بالصحف .

– اسأل واحدا من الواقفين .. هل عرفوا اسمه .. ؟ ! ..

**تأمل لون الكوب من الخارج .. حاول أن يرى ملامحه .. لكن أنفاسه ضببت الزجاج فلم يرشيئا **

كان لأحد أصدقائي كلب تائه .. رآه على بعد أمتار .. فلما حاول الإمساك به .. جرى يطارده .. ثم فجأته عربة ملاكي وصدمت الكلب ومات ، حاول صديقي أن يستر عورة كلبه لكنه وجد الذين وقفوا من حوله يسخرون منه .. وراحوا يهزؤون منه .. قال لهم : إنه مخلص .. إنه صادق .. إنه مثلكم .. تركوه بعض أفكاره وينبح مثل الكلاب ..

– هه .ماذا وجدت ؟ ..

– شيء غريب ..

– تكلم .. انطق ..

– فتشوا جيوبه .. فلم يعثروا بداخلها سوى على بعض النقود إيصال نور عليه الاسم والعنوان ..

– هذا دليل واضح .. ما اسمه .. ؟ !

– الإيصال ملطخ بالدم .. وينتظرون الشرطة الخط المطموس ..

– هيا في طريقنا ..

– إلى أين كنا سنتجه يا أستاذ ..

– الميناء الشرقي .. أسرع من فضلك ..

شارع مثل البللور . بعد نصف ساعة وقفت العربة أمام لافتة نحاسية .. محطة الركاب البحرية .. ماء البحر أزرق غامق .. باخرة فرنسية تغني لأنها راحلة بعد دقائق .. رجال ونساء وأطفال يتبادلون التحية ، سيدة ألمانية تسأل عن وصول إحدى البواخر .. زوجها تأخر وهي عطشى .. هات ذراعيك .. عندي مسحوق بني آدم مكدس .. أنا عصام الوحش ..

.. حركة دائبة ، أقدام جيئة وذهاباً ، بضائع تتحرك على سيارات يقودها شخص واحد .. آدم وحواء في وزن الريح الهائج لا شيء .. يناير يطلق آخر صيحات إنذاره .. جواز المرور يطالعه ضابط حليق الذقن بالبرفان ، ليست في عينيه فنارة موانئ البحر الأبيض يراقبه البوليس السري في حلمه .. (الجيوب .. الجيوب .. الحقائب .. الحقائب .. نبذل الجهد من أجل راحة البلاد .. البحرية أم

الضبط والربط) شعار رفعه ضابط .. وآخر صاح في الواقفين في طوابير ..

– لا شيء يقلق يا سادة .. سنأذن لكم بالانصراف في خلال دقائق .. الدقة واجبة ..

– نريد أن نلحق قطار الثالثة المتجه إلى القاهرة ..

– لا تخافوا .. مائة قطار كل يوم .. البحرية نظام .. لا شأن لنا بالطيران .. البحرية أم النظام ..

– بلادكم مليئة بالغرائب .. جثة فرعون محنطة ، أصل الهندسة المعمارية في أهرامات الجيزة ، معابد الأقصر وأسوان .. دعونا نخرج لنتفرج على بلادكم ..

– لا تنسوا رؤية عروس البحر .. قلعة قايتباي ، وعمود السواري ، والمتحف الروماني ..

– وقلعة عرابي .. ؟ !

– من قال ذلك .. ؟

– ألا تدخن سيجارة .. تفضل سيجارة ..

– ممنوع التدخين يا أستاذ .. هذا قرار المدير ..

– مؤكد هذا صحيح .. لكن أين الأستاذ فكري .. ؟

– سيصل إلى مكتبه بعد قليل .. انتظره هناك ..

البحر المتوسط أضيق من المحيط .. عرف في قتامة الليل .. أضواء بلا مبرر .. الحارس طويل حاد المزاج .. المقاعد منحطة بلا أخلاق .. آنسة أنيقة على مكتبها بارتياح .. بلغت درجة أناقتها ست مجموعات من السياح من فصائل– ك– س – سوف تنزل قريباً على هذا الرصيف .. الآلة الكاتبة ثقيلة الظل ، تجدف بأصابع مكتوبة بالأبيض .. المعطف فوق الساقين .. قولي للكلمات : تعالي .. تأتي في صناديق مع السائحين .. نادرا ما يكون الشتاء قاسيا معك .. ارفعي ساقا فوق الأخرى عندئذ سوف تبرز عضلات أخرى لم تكن في حسبان السعادة .. هزي النخيل وكتفيك .. غني يا تكتكاتك .. جاسوس . داس على الباب المغلق وفتح عضلاته .. أبيض دافئ في شكل نافورة مياه .. استوعب كل القبقاب المتزحلق ..

عند القاع صاح .. لا تصعد .. ابق فأنت المطر الدافئ .. !

– ناهد .. لقاؤنا غدا في نادي الرماية بالشاطبي ..

– ستجدني هناك .. لكن .. ؟

– قلق آخر .. ؟

– كلا .. لكن لماذا نتدرب على الرماية .. ؟

– الموت أحياناً ضرورة .. !

– هل سنقتل ؟ ..

لا كلمة .. الهرب من المكان شرف .. ومقاعد الانتظار خارج عنبر التفتيش .. ضابط يجر كلبا بميول إنسانية .. حمال يسبق آخر .. وآخر يسبق رابع .. رائحة التفاح المستورد –لبناني– حاستك قوية .. الأنف تضج .. اقذف قدميك إلى الأمام واعترض طريق العابرة .. على كل عميل أن يعمل من وراء الستار وأن يظل في المؤخرة أطول فترة ممكنة .. !!

تعتقد وكالة المخابرات (ك . س) أن هذه الوسيلة ذات تأثير فعال ، الخريطة نصف واضحة ، رصيف رقم واحد ، ثم مركز الجمارك ، ، التفتيش والمراقبة ، غرف الإدارة ومكاتب الأرشيف .. على اليمين التسجيلات والمهمات ، في الخارج رجل بوليسي سري . كاتم الأسرار في الحجرة ذات اللون البرتقالي ، بحث عن زجاجة بيرة وشرب مائة زجاجة ومائة فيلم بحري به أكثر من خمسمائة وثيقة .. لافتة أنيقة على باب مغلق .. مدير هيئة المواني والمنائر .. حارس ..

– قل لي والله ..

– نعم !

– لي قريب قادم من النرويج .. معه بضائع وحاجات أخرى .. كنت أريد مقابلة أي مسئول عن ذلك لأعرف أسهل الطرق في وصول مثل هذه الأشياء ..

– هذا أمر ميسور .. الأستاذ فكري في قلم المراجعة يدلك بالتفصيل ..

– لكن .. ألا يمكن مقابلة مدير الهيئة .. ؟

– ممنوع يا أستاذ .. !

– يجب أن نمضي بكل ثقة ..

– هل أخبرك بشيء .. ؟

– قال الصحفي القديم: القدرة على الاستجابة السريعة لكل المواقف .. هي كل شيء !!

اسمعي .. كاد المعلم يكون رسولا .. يسألونك عن الخمر والميسر . قل : فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ، اعلن هذا العنوان – لماذا ناموا عن الأديان – .. كلامهم معجون بخفي حنين ومؤته وأحد ..

– اكتبي في كراسة الإنشاء في هذا الموضوع ..

– وماذا أكتب .. ؟

– الدين مهم .. !

– أخي لا يؤمن .. !

– سأناقشه عندما يأتي ..

– أحب الكتابة في الموضوعات السياسية .. وأخي لا يكتب إلا في الجنس ..

– السياسة .. والجنس .. ؟

– فسدت أخلاقك يا ماجدة ..

– علمني إذن .. كيف أحافظ على جاذبيتي بالنسبة للآخرين .. علمني تاريخ الخنافس و ...

بارجة حربية تزن مليون مليون ماجدة .. وقود العصر .. قال أستاذ في محاضرة عامة : أجريت التجارب على الأرانب فرفضوا في بادئ الأمر التدخين ، نظرا لغرابة الحالة عليهم و .. لكن بعد مرور الوقت .. أصبح من المحتم علينا صرف تسع سجائر لهم يوميا .. !

هنا القاهرة .. أعلنت ساعة الجامعة تمام الثانية والنصف .. أيها السادة .. إليكم موجزا لأهم أنباء هذه النشرة .. الغارات الأمريكية تدمر المستشفيات والكنائس والمدارس في مدن فيتنام الشمالية ، أذيع اليوم أن سبعين ألف هندي قد قتلوا في الصدام المسلح خلال هذا العام مع القوات الصينية عند حدود التبت ، كما أعلنت

وزارة الدفاع الهندية أن خسائر الصين أكبر من خسائر الهند .. مؤتمر مديري التربية يبدأ أعماله غدا لمناقشة مشكلات التعليم .. القائد العام للقوات البحرية المصرية يشهد في الأسبوع القادم مناورة بحرية لأقوى قوة ضاربة في البحر الأبيض المتوسط .. زيادة حصة التبادل التجاري مع دول الكتلة الشرقية .. في نبأ عاجل من باريس أنه سوف يتم غدا انتخاب ملكة جمال العالم على شاطئ الريفييرا ..

– اقفل الراديو يا أستاذ عصام ..

– .. وتفصيل الأنباء .. ؟

– كلام فارغ ..

– هذه أمجاد .. ؟

– سمها كما تحب .. إنما الشعر ثورات باردة .. !

– أو .. ماذا تفعل اليوم .. ؟!

– خذ مثلا .. أنا شاعر موفور الإحساس ، كتبت أكثر من مائة قصيدة ، ولكن لم أنشر بعد أية واحدة .. إلا ما رأيته أنت مطبوعا ومدعما بالنقد والاعتراف بالشاعرية .. أعوذ بالله . البحث مر ..

– كيف بدأت البحث .. ؟

– أول فعل لي .. هو تجميع إحصاء عام لجميع دور النشر والطبع في البلاد .. ثم حصر جميع المطبوعات التي صدرت في هذه الدور منذ ثلاثة أعوام وحتى اليوم .. سواء كان المطبوع كتابا أم مجلة أم جريدة ..

– شيء يضايق .. !

– المهم .. هو العثور على دليل وجودي .. لابأس من التعب والسهر من أجل شهادة الميلاد ..

– وإفريقيا ؟

– لا خوف على إفريقيا .. سأعطيها راحة من كلماتي ..

(ترن .. ترن .. ترن) ..

خرج من الحجرة المنافقة ، وتلقف الباب المفتوح بابتسامة، الفقر ملعون ..

– محروسة سلطان .. أنت ؟

– طلبتني يا سيدي .. أنا في خدمتك ..

– ادخلي واغلقي الباب ..

– المقعد المؤدب ينصت في حياء لا نظير له .. نهض إلى الثانية

– أية طلبات تريد يا سيدي .. !

– اقعدي .. !

– عفوا يا سيدي ..

– قلت .. اقعدي على الكرسي .. لا تخافي مني .. واحكي لي حكاية ..

– ماذا أفعل يا سيدي .. ؟

– أريد أن أنام ملء جفوني .. أحكي في أية حكاية أو قصة أو حادثة .. حتى أنام .. ثم أخرجي ونصف جنيه لك على المائدة في انتظارك .. أسمعت كلامي .. ؟

– لكن .. !

– أليس ذلك أفضل من النوافذ وبلاط الحمام .. ؟

– لم أفعل ذلك من قبل .. كيف .. ؟ ..

– أنا محتاج إلى النوم ..

– لماذا لا تنام مثل الناس ..

– هكذا خلقت أتفهمين .. أرق .. يعني مريض بعدم النوم .. هيا احكي لأحلم .. هيا لا تخجلي ..

– سأحكي لك تاريخ هذه الحجرة ..

– حجرتي .. ؟

– كما أشاء .. ألم تقل ذلك .. !

– لك كما تشائين ..

– جاء أبي وأمي وحدهما .. وعملا على تسكين أسرتنا ، أبي خارج العمارة وأمي تخدم سكانها وتلدنا واحدة بعد الأخرى .. خمس بنات صرنا .. يحكي أبي

عن أمي عن شقيقتي الكبرى .. أن العمارة كانت بالخير والحب تعيش .. تقول أمي في الطابق الرابع : هذه عمارتنا ردت إلينا، تحفظنا من التشرد الذي يعانيه الآخرون .. قالت الشقيقة الكبرى : لم نسمع صوتا ارتفع بالصراخ في جنبات العمارة إلا من الحجرة الجوانية عند الاستاذ إبراهيم زنوبيا .. كان رجلا عجوزا مخمورا .. أول ساكن فضح العمارة على لسان النساء .. أبي يحمله كل ليلة إلى فوق .. رائحته عفنة ورأسه تدور بالأفكار .. أمي قالت ذلك عن أبي . سألت أمي ماذا كان يقول . أخبرتني في كتمان . سر عذابه امرأة أحبها قداسته لأنه رجل غير كفء .. قلت مامعنى كفء ؟ عندما تكبرين تدركين السر .. ثم طرده الأستاذ ، وسكن الحجرة آخر .. رآه السكان فأعلنوا العصيان ، وقالوا : اقبضوا على ابن الكلب .. يبيع المخدرات بثمن زهيد .. وعلم النساء المحافظة على التدخين .. كتبت الصحف عن ذلك ونشروا صورا عن العمارة في أقسام الشرطة أبي يذهب مع الأستاذ إبراهيم مساء كل ليلة للتحقيق .. واغلقت الحجرة بالشمع الأحمر بأمر النيابة .. قالت ذلك أمي عن أبي .. ثم سكنها شاب وسيم للغاية .. سرق كل شقق العمارة في ليلة ثم هرب .. لم يعرف أحد أين ذهب ؟ .. الذي يقولونه الآن عن الحجرة شيء لا يصدقه عسكري شرطة .. لم تعد هناك مشاكل . الأخلاق سر نقاء النوع وعصام نوع أصلي .. مصري مائة بالمائة .. فتاة في الطابق الرابع قالت : سكنها ملاك خجول علينا أن نجله ونحترمه .. أبي دائما يقول : لا يعلم الغيب إلا الله .. وأنا أقول أنت عصام الترجمان .. هل نمت ..؟ .. الصمت دليل نجاح الفعل .. مالك أرق .. ؟ .. مالك مريض بعدم النوم .. يا حبيبي .. أصابتك عيون الناس في العمارة .. يقولون : لا أهل ولا أصدقاء عندك إلا إبراهيم زنوبيا .. مقطوع من شجرة يا حبيبي .. عليك الرحمة .. ربنا يحرسك .. أعوذ بالله من عيونهم .. أنمت يا سيدي .. يا حبيبي .. ملاك .. ملاك .. ملاك .. النصف جنيه لي .. الباب برفق .. الباب برفق هكذا .. !

وجد الوحدة بين يديه .. الباب عليه أصابع قطة جائعة .. من الزجاج نعرف .. قفزت القطة وهي تموء إلى ما تحت قدميه .. وجدتهما طريتين فبدأت

تأكل .. الحوائط الأربعة عديمة الأخلاق .. سجن مقرف .. الرقص ذخيرة المؤمن .. لالا .. تضرب نفوسنا المتعبة لنستريح .. البللور الطري بين الموائد ، الكوع زرعته فجأة في بركان النار ، صباح المخمورين .. عاش عصام .. تحت سماء المنتدى اشرب ولا تهمل واجبات الضيافة .. هل تنوي السفر إلى القاهرة .. الصحفي القديم في انتظارك والطريق إلى صفقة تصوير المستندات البحرية قريب .. رحلة إلى القاهرة .. فرصة .. ربما معي يا ناهد .. ومنها إلى أوروبا رأسا .. أما لبنان فنجعلها مركز الراحة والنشوء والارتقاء . الذين يدورون حول إفريقيا أغبياء .. هنا لا يوجد شيء سوى عذاب الناس في البحث عن المعنويات .. التحرر من الفقر أملهم .. ولا شقاء ..

– مسيو نانا .. يا ضئيل الجسم يا أنيق ..

– نعم مسيو عصام .. كم أنت لطيف ..

– أين أمك وأبوك .. وإخوتك ..

– أوه .. أين نحن من اليونان .. ثلاثون عاما كاملة ..

– ثلاثون عاما .. فراق دائم ..

– لا أدري الآن .. أين هم ؟ ..

– ألا تراسلهم .. ؟ ..

– انقطعت رسائلهم منذ الحرب العالمية الثانية ..

– حتى اليوم .. ؟ .

– آوه مسيو عصام .. لقد ذكرتني بأبي ..

– كان قاسيا أليس كذلك ..؟ .

– كلا يا سيدي .. أنا الذي كنت قاسيا عليه .. كم كان المسكين رساما عظيما .. تصور يا مسيو .. عصام .. كنت أكسر له كل يوم فرشاة وأبقع له اللوحات بالطباشير الشمعي .. كانت أمي تبكي من أجله كثيرا .. لكنه كان يحبني للغاية .. يا عزيزي نانا الصغير .. يبدو أن رسم أبيك لم يعجبك دعيه يفعل ما يروقه بحرية، ابني يجب أن يكون حرا .. الولد ناقد .. لا تكبلي حركته .. كلنا طوع

إرادتك يا نانا العزيز .. آوه .. أين أنت الآن يا أبي .. ؟

– أتهون عليك أرض أجدادك .: ؟

– الحب يا مسيو عصام ..

– الحب ؟ !!

– حب بلادي ..

– لم أفهم .. !

– جئت أبحث عن الإسكندر الأكبر .. أبو اليونانيين جميعا ..

– يا سلام .. هذا حلم ..

– هناك أمل .. !

– أنت جدير بالاحترام يا مسيو نانا .. معك إرادتك .. هاجر يا مسيو عصام .. تجد مستقبلك ..

– للأسف .. ليست لنا مقابر خارج بلادنا ..

– لماذا لا تسافر إلى إسبانيا .. فربما عثرت على بقايا أشياء تركها الجيل العربي الذي عاش هناك فترة .. ؟

– ماذا .. أتعرف التاريخ إلى هذا الحد .. ؟ !

– يا مسيو عصام .. بيني وبينك .. هذا الجرسون نانا يحمل في رأسه درجة الماجستير في الدراسات الشرقية .. وكان في مقدوري أن أصبح أستاذا جامعيا .. لكن هوايتي .. الإسكندر رماني هنا .. أنا سعيد هنا في المنتدى .. ألا يمكن أن تحدث المعجزة يوما ..

– مسيو نانا ..

– مسيو نانا .. يبحثون عنك ..

– مسيو نانا .. لالا تناديك .. أجب ..

– بعد إذنك يا مسيو عصام ..

قطار البضاعة .. !

حصل على الماجستير .. هذه كلية العلوم .. احترس .. كالحة تلك

المدرجات التى فى لون الرصاص .. ضيقة تلك الممرات المؤدية إلى الاختناق مع أستاذ يحضر مادة " أينشتاين " .. عربات بويك ومرسيدس وكارو ، تحمل أستاذة ومناظر مسرحية لفريق المسرح بالكلية ..غريب .. ! .. من يقول له هات يدك .. ؟ اليوم الأول كان سيئا .. خرج ليشرب كوكاكولا .. وجد زحاما تحت عمارة ضخمة .. عالية جدا .. ياه .. اندس بين الواقفين .. كان سيئا .. طفل سقط من شرفة الطابق الثامن ، تزحلق على المرسيدس .. جلد رأسه لايزال يتدلى على جانب المرسيدس .. جدران في لون الرصاص خبيثة ..

– من فضلك يا آنسة .. !

– نعم يا محترم ..!!

صلافة تخفيف ..وقفت لتحارب بدون سلاح ولا فائدة ..

– أأنت معنا في السنة الاولى .. ؟

– وأنت .. ؟ !

– جديد طبعا .. !

– هوه .. وماذا تريد .. ؟

– أريد أن أعرف الكلية .. هذه الأماكن .. هؤلاء الناس .

– تفضل اعرفها ..

– وأنت .. ؟

– أنت قليل الأدب .. هيا انصرف ..

– أنا ؟؟ !

مات الطفل في ذلك اليوم .. صوتت أمه وعجز الناس عن حبس دموعهم .... (لم تلدني أمي غريبا) ..

– من قال هذه العبارة يا إخوان ؟ !

– وأنت .. ما بداخلك ؟

آه .. ببطء ، سار يبحث عن رأسه بين الرؤوس السائرة خرج من أحد المدرجات ، وعلى طرف الممر دخن سيجارته الأخيرة . لم تكن تفهم .. رآه غريب

فضحك ..

– مالك سرحان .. ؟ ..

– لا شيء .. !

– كنت مثلك .. تعال اجلس بجانبي ..

– خذ آخر سيجارة ..

– عربون مقبول .. !

– ماذا تفعل هنا .. ؟ !

– أدون مذكرات ..

– هل تفهم مما يقولونه شيئا .. ؟ الطبيعة وأستاذها ملعونان .. !

– لا شيء أفضل من طبيعتنا نحن ..

– لم أفهم .. !

– لا شأن لي بهم .. نحن أفضل من الطبيعة ، ولا يسألون عنا ..

– أنت ترياق فيلسوف ..

– كنت أتمنى دخول معهد الفنون المسرحية .. منعوني منه لأن المجموع قليل .. و .. و ..

– والآن ؟ !

– أدون مذكرات كما ترى .. !

– ومستقبلك .. ؟ ..

– الفنانون هنا لا مستقبل لهم .. هكذا في أنحاء الدنيا .. خذ مثلا .. أنا ممثل ممتاز بشهادة ثلاثة من كبار مخرجي المسرح .. ويؤكد ذلك ما قدمته في حفلات الجمعيات الخيرية وتحدث عني أكبر ناقد مسرحي في بلادنا .. لا .. لا أريد أن أكون عالما .. إنما ممثل .. مجرد إنسان يتحرك على المسرح بحرية الإرادة الكامنة فينا .. لكنهم لا يريدون ..

– حاسب .. هذا خطر على مستقبلك .. هذه أحلام ..

– صدقني فأنا مجنون .. لكن الجنون فن عظيم ..

– ماذا .. ؟ !

– صباح الخير يا جماعة .. ؟ !

– صباح الخير .. هذه ناهد .. أتعرفيها .. ؟

– للأسف .. أهلا بك .. لم نتقابل من قبل .. !

– أهلا بك .. لكني أعرفك ..

الغريب غير جلده وابتسم لأول مرة ، ولد في ذلك اليوم طفل لأحد سعاة الكلية فوزع الخطابات الواردة دون بقشيش .. !

**مد شفتيه بحذر .. ورشف ببطء .. **

– عصام .. يا عصام .. !

– أنت تنادي يا إبراهيم .. ؟ ..

– نعم !! .. تعال بسرعة ..

قصة الغد .. السعر للمستمع فقدان ميزان الأعصاب .. هذه ضرورة لكن الأرق كلب .. خطوات العمل تبعد شبهة أن الوطن أم وقنطرة ، وأبدية .. روحك متدفقة بالشعر ، علقه من طرف الوهم .. ورماه .. ومسح كينونته .. وبدون وجود حقيقي عاش ..

– هه .. مساء الخير ..

– اجلس واسمع موضوع التعبير الذي كتبته ماجدة بعنوان الحب لعب عيال.

-أنت يا ماجدة .. ؟ ..

– نعم .. هذا حدث .. !

– وأقسم لك بشرفي .. ما أمليت عليها سطرا واحدا .. كله نتاج عقلها ، الذي صنعته وكونته بكفاحي ، اسمع لتفخر أمام الناس بجارك المسكين إبراهيم زنونيا الشاعر الموظف التائه .. عندئذ سوف تذكر ما قلته لك بشأن مبادئي التي ستسود العالم .. سوف أعيد الأخلاق إلى العصر ، لابد من الطهر ، لابد من الملائكية .. اقرئي يا ماجدة .. ببطء .. بهدوء .. على مهل ..

– لكن اين أخوك .. ؟ ..

– غائب .. في رحلة ..

– سلامي إليه ..

– اقرئي يا ماجدة .. هه .. ببطء ، بهدوء .. على مهل ..

... ولذت في أدبه على متن طائرة خاصة ، تجوب الشرق والغرب ، شفتاك على شفتيها ، لا كذب .. عذوبة المجتمع الحر .. رائحة " البارفان " لا تخنق ، أبوك يبلط الشوارع حتى حجرتي الجوانية .. أبوك لم يحلم مرة بمليون جنيه فقط .. خزانتكم في ثقل هذه العمارة ، وريثة ناجحة ، من هم المساكين ؟ حيوانات تذكرها الكتب والمجلات القديمة .. عيونك في فيتنام تقتل المئات .. أظافرك في لون الدم .. والصدر عنوان التقدم ..

– الموضوع بعنوان: الحب لعب عيال .

– قولي يا ماجدة ماذا كتبت .. ؟

– لو استمعنا إلى كلام الرجال الذي يقال لنا كل يوم .. سنجد أننا بحسن نية نصدقهم ، لكنهم يضحكون علينا ويغررون بنا .. وفي كل بيت مشكلة .. حينئذ ما هو الحل .. ؟ أنا أنصح بنات حواء بتعليق هذه اللافتة (الحب لعب عيال) على صدورهن حتى لا تتعرض لمزيد من قسوة الرجال .. انتهى الموضوع ..

– ما رأيك يا عصام .. ؟ ..

– لا غرابة في ذلك .. فالتلميذة متأثرة بأستاذها .. لكن عندي سؤال لك يا ماجدة ..

– تفضل يا أستاذ .. !

– صوتك قاتل .. عيونك .. عيونك في رأسي تقرأ كل شيء ..

– أقول .. هل قرأ أخوك هذا الكلام .. ؟ ..

– نعم .. !!

– وماذا قال .. ؟ ..

– اعترض على اللافتة .. وقال يجب أن تستبدل بأخرى ملائمة ، اقترح مثلا أن تكون الحب أمل العصر .

– ولد مجنون ، تافه ، مراهق ، متهور ، معتوه .. إن رأى مثل هذا الشاب كلام فارغ لا قيمه له ، نحن العقلاء الكبار .. من الضروري أن يستمر .. يجب ان يسود . هو تافه .. شاب مغامر .. طائش ..

– هاها .. هاها ..

– هاها .. هاها ..

– هاها .. هاها ..

كلامكما يضحك .. فمن منكما الذي ضحك على الآخر ؟ .. ميزان حساس .. مات الميكروب فانتعشت كل المشاعر ، ضحكاتك يا ماجدة تدوي .. تدوي قائلة أنها قنبلة ذرية فوق الساقين .. ها هنا العدل .. عيونك .. صدرك .. نحن آدميون من فصيل الحيوان .. خذي مني وأعطني .. اضحكي طويلا العصر لنا نحن .. من منا لا يحب العطر ومارلين مونرو .. وبوند والنقود والدفء .. قلت الحكمة بتأثير الحرمان .. سخط عليك الجيل كله .. فترت أعصابي .. وسألت العين ماذا جرى .. ؟ انكسر الهلال وثلاثة نجوم إلى قاع المحيط .. لم يسمع أحد سوى استفهامات .. غدا يا ماجدة .. نحرث الأرض ونسقي الزرع .. لن نندب حظا مادام بلاط أبوك بارد .. كل عالمنا سيكون همسا .. أستاذك العاقل جدا قال : الكلمة له : بقايا عقود شيطانية ، المقامات ، بصمات شفاهنا فوق الأكف .. رفضناها .. هذا عار .. في سروال أستاذك حجاب يمنعه من الشرور والمصائب ، تحت كتفيه دفاتر لتأمين مستقبله .. الحرام لافتة عصره الذى مضى .. قالوها كل يوم كواجهة عريضة فوق كل شيء، ولم يخلفوا لنا إلا مركبة يجرها حمار كسول!

– ناهد .. !

– نعم يا ماما .. !

– أين أنت .. ؟ الدنيا برد ..

– أتفرج على الشارع .. هل تريدين شيئا .. ؟

– بحثت عنك في الظلام .. فلم أجدك نائمة ..

بطولة مفتوحة في السباحة تحت أمطار المدينة .. ناهد زمان .. شعرك ..

جمالك ، رقتك .. الصواعق والرعد .. إشارات لاسلكية .. انقلي إلى العالم أخبار ناهد ، كم وزعت من نقود مزيفة ؟! أوراق البنكنوت فئة خمسة جنيهات تحمل حرف (م) وأحد الأرقام الأولية التي لا تخرج عن ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ مئات الجنيهات .. عصام يجهل أمر هذه الصفقة لأنها بأجر إضافي خاص .. رأس عصام تطل عليها من عامود نور شاحب الضوء .. لا مفر .. نعم لن نفلت من المصير، مارلين مونرو بقمة السعادة شقت صدرها نصفين وأجلست الديدان عليه، فبراير يرضع البيوت ويغسل الشوارع ، بطولة فردية للسباحة في ملابسنا المعصورة بتاريخ الليالي المعطرة ، الصحفي القديم ينفق في الليلة مجهود ألف كيلو سباق .. أنت ناهد .. وهما شخصان ، احترسي من بتر ساق عصام المعوجة .. باع الذين يعرفهم لقاء كلمة قالوها عنك .. بائع خاسر ، مثل أبي .. بائع خاسر، البالوعات مفتوحة تماما .. لا أحد يرفض ماء الحياة الهابط من أعلى الطوابق في مواسير حلزونية .. عرابي فوق الربوة .. كتب التلاميذ كفاحه على السبورة السوداء بطباشير أزالها طفل لا يدري بلعبة كانت في يده ، على الربوة بيت قديم أمامه مدفع ملأه الأطفال بالطوب .. كانوا يجربون عظمة عرابي أمام الإنجليز فعطلوا المدفع ، وركب طفل لا يدري على ماسورة المدفع وراح يبول على أصدقائه .. ما هذا .. ! ؟ بائع .. بائع تحت الأمطار ..

(الكتاكيت الفيومي يا بنت ...) ..

.. من يقدر على تنشئة نفسه ابتداء من عمر يومين ؟ .. يا عم ! الذبح بالمدفع أفضل ، فيتنام تذبح بلا تفكير ، يا بائع الكتاكيت اذبح كتاكيتك .. ارسم لهم دائرة وسط القفص ، وعلق عليها أكبر رأس منهم .. اشرح مأساة دنشواي .. طوابير طوابير .. وقبل ختام الليلة .. اترك في القفص كتكوتا واحدا يصرخ ما أراد .. سوف يندم لأنه غريب وحيد ، سوف تزكمه رائحة المرارة المكانية .. ليكن هذا الكتكوت في ضخامة الصحفي القديم ، هذا العام كئيب .. آه آه .. كأن الدنيا كلها تموت .. !

كليوباترا .. شاطئ العذارى .. في البدء كانت ثم انتهى إلى التفاحة ،

ورائحة الشواء الذي حرق نفوسنا .. إفريقي في الشارع ينبح ، لأمطار تلمع جلده، برهان الحضارة على يديه يلعنه ، احفظوا الكلمات يا رجال ، المدينة سانجة ... مطاط النيون يزغلل ، جلده يلمع بالأخضر والأحمر والأصفر .. لماذا لا يوجد ضوء أسود ؟ .. ضوء إفريقي .. هجرت القطط بيوتها وتدلت شفاههم إلى تحت النوافذ .. تلك القطط تدخن سيجارة مثلي ، أشياء ترفع الذي وقعت في الطريق، كعوب بعض الآنسات مثل رؤوس القنابل .. أنوفنا الخلفية تعج بالأصابع واللمس والاحتكاك .. هذه بقعة ..

– ناهد .. ناهد ..

– حظك أسود .. ماذا تريدين .. ؟ ..

– أنا .. ؟ ..

– سامحيني يا إيمان ..

– أسمعت بالخبر الجديد .. ؟!

– خبر جديد .. أم حلم جديد .. ؟!

– ماما قالت لي : صدر قرار جمهوري بمعاقبة كل شاب بلغ السن القانوني للزواج ولم يتزوج ، السجن المؤبد وغرامة مليون جنيه .. احترسي منهم : كل شبان عمارتنا سيحاولون .. أنا وأنت .. أنا وأنت ..

– آه .. يا حمارة .. !

– غدا تصدقين .. مجرد بنت سوف تظهر في الشارع .. ستكون عليها حرب ، السماسرة جاءوا ليسجلوا الأسماء .. ورقم المنزل ، عم سلطان له خمس بنات .. احترسي منهن .. لا تنزلي إلى الشارع .. الشبان يصنعون كمائن لنا .. عاشت جمهورية البنات .. عاشت .. عاشت .. عاش أعظم قانون في العالم .. !!

**تعود على الكوب الدافئ .. فراح يتلذذ بالدفء في يده .. ومنظر الدخان المتصاعد .. **

نامت الكتب المزيفة إلى الأبد ، علبة صغيرة موضوع عليها قفل سري لا يفتحه سوى خبير ، لافتة في زاوية مجلة .. السيجارة عصبية المزاج بلا مقومات

.. السؤال أمامه .. لا .. نعم .. لا .. نعم .. الرفض أبو اللحظات السعيدة جبل الليمون انشق واخفى سر العلبة ، الشاعر المجنون وقف عاريا في نافذة تطل على حديقة الكلاب وقال : يا كلاب أنا كلب .. يا كلاب أنا كلب .. مرارا وتكرارا ..

– عصام ..

– نعم يا ناهد ..

– نحن غارقون بلا مجاديف .. أعطني المجلة ..

– خذي .. الحياة للحياة ..

– لكن .. ما رأيك في المبادئ ..

– مات كل الطيبين ..

– ماذا تعني ..؟ !

– ألف زجاجة في فم كل سائر ..

– متى نسافر معا إلى القاهرة .. ؟ !

– عندما يأمر الأستاذ ..

– أصبحت ابن (المنتدى) منذ سكنت في العمارة ..

– أنا وأنت وكل الناس .. من نسل هذه الأمـــاكن .. المهم .. المســـتندات صورتها وطبعتها أمس ، سمعت أثناء التحميض حركة .. أدركني الخوف .. لكن الشاعر الملعون .. كان يحلم ..

– ضيعت عمر الرجل ..

– مغفل مثل بقية المغفلين .. أصبح همه الأول البحث عن اسمه المطبوع .. قال لي : البحث يسير حسب خطة موضوعة .. !

– إنسان غريب ..!

– انتهى حتى أمس .. من مراجعة شهر واحد .. بقى أمامه ثلاثة أعوام إلا شهرا .. ما أمتع رؤية تائه ..

– حرام عليك .. !

– على أية حال .. مصائبنا أكبر .. !

- خبرني .. هل لنا مستقبل .. ؟ !

– نحن نعيش .. من أجل ذلك .. لنا مستقبل .. مسيو نانا يبحث عن الإسكندر ، والشاعر يبحث مثله عن مجده .. كلاهما تائه .. ميتان .. أغلقي الباب جيدا وهيا نعيش .. !

– ألا تتمني في يوم شيئا آخر .. ؟!

– مزيدا من الحب ..

– جرس الباب يدق .. انتظر ..

الدقات غريبة ، الزمان أغرب ، النقطة الرابعة تقوم باستخراج مادة (اليورانيوم) الموجودة في منطقة (دار الشوير) بلبنان .. عملا من أعمال الخير لا أحد من الأصدقاء يعلم أين أنا ؟ .. الكواء ؟ .. ربما ! .. عم سلطان ؟ ربما .. ! الشاعر المجنون .. ربما .. ! محصل النور .. ! آه .. آه .. ملعون أبوك ..

– من .. ؟ محروسة ..؟!

– نعم يا سيدي .. صباح الخير .. هذه الرسالة تركها لك شاب وأخبرني بضرورة وصولها إليك الآن ..

– رسالة .. ؟ .. أين .. ؟ ..

– تفضل .. !

.. عزيزي عصام الترجمان .. بعد صباح الخير .. رجائي الحضور فورا .. لتكون أول من يشاهد مقبرة الإسكندر الأكبر .. ويكون لك شرف صداقة مكتشف السر .. المخلص .. نانا .. العنوان .. شارع الطابية .. المكان .. أمام المقهى الجديد ..

– ناهد .. ناهد .. اسمعي هذا الخبر ..

– ماذا حدث .. ؟!

- – مسيو نانا عثر على مقبرة الإسكندر .. ؟

شارع الطابية مزدحم .. شمس فبراير باهتة مريضة بالسل .. لا موضع لقدم .. كل عيون الناس في باطن الأرض ، التراب يصعد في حماس ، فرشاة

أسنان في فم طفل يسأل أباه في شرفة تطل فوق الحفرة ..

– ماذا يفعلون تحت منزلنا يا أبي .. ؟

– منذ الصباح وهم يعملون هكذا ..

– لماذا .. ؟ ..

– يقولون .. توجد هنا مقبرة الإسكندر ..

– وما معنى مقبرة .. ؟

– عبارة .. عن حجرة من الذهب بها ميت اسمه الإسكندر .

– هل هو قريبنا .. ؟ ..

– لا .. لا .. شخص مات وانتهى .. لم البحث ؟ لا أفهم ، ولو عثروا عليه .. اعتبروا المنطقة أثرية .. وخربوا علينا .. الله يلعن صاحب المشروع ..

جرى الطفل .. فتح نافذة أخرى ..

– سيصبح شارعنا أشهر شارع في العالم .. أما أنتم .. في زقاق قذر ..

– سأقول لماما .. حتى تبحث لي عن إسكندر آخر في زقاق بيتنا ..

– إنه إسكندر واحد يا عبيط ..

– سأقول لماما .. وسوف تشتري لي واحدا ..

– .. ..

– قل لي يا استاذ ؟

– نعم ! ..

– من هو الخبير صاحب المشروع .. ؟

– مسيو نانا .. جرسون المنتدى ..

– آه .. أين (لالا) .. ؟

– هيا بنا يا حبيبي ..

– أسأل عن لالا .. ؟

– لا تسأل .. !!

– ....

آه .. وتبحثون عن ميت قديم عن رجل واحد لا تنتظره زوجة ولا أبناء .. الشهرة والنقود .. زوجي كان بحارا يجوب البلاد .. غرق ، يا مأساة أولادي .. مات .. وأسفاه .. مات بيد صديق حقود ، الشمس لم تشق صدورنا بعدها .. ابحثوا عن زوجي يا سادة .. يا سادة بلادي .. يا خبراء .. هاتوا رأسه إلى أولاده مجدا وأملاً .. بأي رائحة سوف يأتي .. المهم أن يعود .. ابحثوا عنه .. صلوا على النبي وابحثوا عنه .. زوجي غرق .. سأهبكم كل أملاكي .. الساعة ، الدبلة ، آنية النحاس ، قبعاته ودموع أولاده .. خذوا آثاره مقدما .. أمتار سحيقة في باطن الأرض ولا أثر للميت .. حجرة من ذهب ، تابوت من ذهب مرارا على ألسنتكم .. ترحموا على زوجي .. تطلبون شفاعتي .. لا .. لا .. أعيدوا إليّ زوجي فعنده الأسرار .. وعنده المكان والزمان .. لا تفرحوا لأني جئت .. لا .. لا تقولوا ..أنا خارجة من الزحام ، كلكم ثرثارون لم يرفع واحد منكم أصبعه وسأل .. ماذا تريدين يا زوجة البحار ؟ .. بحار في جوف سمكة ، وبحار في تابوت من ذهب .. و .. و .. باحوا بكل مخبوء .. !

.....

الحفر هنا .. أقاموا تمثالا على أرض اليونان ، وأقام العصر شاهدا على صدر الآدميين .. هنا يرقد شعب فيتنام .. حضارة الإسكندر أخرستها نهضة الشرق .. مسيو نانا اشترى أيامه بالعملة الصعبة .. ابن الأساطير نجح ..

– مبروك يا مسيو نانا ..

– أهلا مسيو عصام .. للأسف أزعجتك ..

– كلا هذا شرف .. منذ متى بدأت الحفر .. ؟!

– منذ فجر اليوم .. والتصريح بيوم واحد .. عشرة أمتار حتى الآن ..

– ومتى سيظهر .. ؟ !

– ربما بعد ثلاثة أمتار .. انظر .. وجدنا بعض قطع من الرخام الصغير ..

– هذه دلائل تبشر بالخير .. أين وجدوها .. ؟ !

– عند المتر التاسع .. !

الرخام الناعم زبده .. طالما حذروا الشرقيين من عواطف بنات الأولب . يؤلفون حكومة ملكية على رأسها باكوس في صورة بشرية ، سائلا عجيبا يجري في عروقهم .. فيكفل لهم الخلود .. يظهرون للناس ويختفون كما يشاؤون .. – هيرا..أفروديتا.. أثينا – .. هذا القزم اليوناني .. له قصة تحكيها النوادي ، البيوت، الصحافة ، الإذاعة داخل عربات القطار والأتوبيس .. أسطورة جديدة اسمها مسيو نانا .. لننسى عرابي بسرعة .. بسرعة ..

– الفل .. الفل .. صباح الخير يا أستاذ عصام ..

– بائع الفل .. أهلا ..

– جئت أتفرج على عيون الإسكندر ..

– والمنتدى .. ؟ !

– أجازة .. من أجل عيون الإسكندر ..

بقع مختلطة فوق حائط .. إعلان شركة الطيران .. مائة قدم تتوقف كل ثانية أتساءل .. ماذا هنا ؟ .. قلنا ألف مرة .. هنا الإسكندر .. ألا تفهمون .. ؟ ! .. غباء الناس بلغ القمة ..

– كم يكلفك هذا المشروع يا مسيو نانا .. ؟ !

– دفعت مائة جنيه ثمناً لتعطيل حركة المرور ..

– ومتى تنتهي من الحفر ..

– لا يهم .. ربما لا نجد الإسكندر هذه المرة ..

– ماذا ؟ !

– الخرائط التي عندي قديمة .. والشوارع تغيرت منذ عهد الإسكندر .. لتكن أول تجربة ..

اعزفي لحن الكفاح يا أنشودة النيل .. البقع لا تفيد للنسيان .. رشاقة الأميرة ناهد وهي تهز رأسها كفيل بالوداع .. أبي .. آثما .. اطرد ابنك لأنه على علاقة بالبنات .. كلام الناس جعله أسطورة زنا .. فتحت أذنيك ولم تحفر بئرا للبحث عن الإسكندر .. كان ذلك فظيعا .. قالوا : اسمع اعتراف بنت الجيران

بأنك نلت منها يا عربيد .. صفع القاضي المتهم .. وأحال أوراقه إلى الإعدام بدون فتوى .. دقيقتان .. لأول مرة عرف قيمة ذاته .. مشاعر أخرى إضافية .. العداء والكراهية..

– عصام .. عصام .. تذكرت شيئا مهما ..

– من .. ؟ .. ناهد .. لماذا جئت .. ؟

– يجب أن تتصل فورا بالصحفي القديم .. المنتدى مغلق وربما طلبك على الرقم ..

– اسمعي .. هس .. هس ..

– ماذا .. ؟

– مسيو نانا يتكلم بصوت مرتفع ..

– أيها العمال .. أهيلوا التراب إلى مكانه من جديد .. هيا قبل أن يدلهم الليل..

– والإسكندر يا مسيو ؟ !

– ألم تقل إنه هنا .. ؟ !

– قل لنا .. هل فشلت .. ؟ !

– لم نعدم الأمل بعد .. وأمامنا مناطق أخرى كثيرة ..

جدار مرتفع .. ميدان فسيح لضرب النار .. فسيح للرؤية والضرب .. ألسنة النار تلحس الهواء بسخونة فاجرة .. لغة الشيطان .. أصل الاختيار في الطبيعة .. التكون من أصل دودي متطور .. دودة ؟ راجت نظريته في ظل الفلسفة الوضعية للعصر .. كل مخلوق يقول : أنا نتيجة تكوين العالم لي في مختلف العصور .أنا الطور الأخير .. فلسفتك كلام يا داروين .. علمونا كلاما لا يفيد .. أنت كائن موجود .. بذاتك تكون قائما .. لا أحد معك إلا أنت .. أنفاسك .. دقات قلبك .. بدون صحفي قديم ولا ناهد كيف يمكن أن أكمل الرحلة .. في البدء صفارة المدرب ، هكذا ينهمر الرصاص ويسقط الحمام .. تتجمع النقط بجوار الاسم .. تسمع تصفيقهم .. بطل .. ماهر .. جيد الضرب .. ممتاز.. إعلان . من

أجل الشبكة .. قاتل جيد باعتراف الحكومة .. ما ذبح أمام أمي لا يؤكل .. أما الإمبراطور فقد كان عالميا .. اقتل ماضيك واذهب إلى الشرق .. تجد حنانا بلا حد ..

– ماذا تبقى لك يا ناهد .. ؟ !

– الاختبار على الطاقات الخاطفة .. وأنت ؟!

– المدرب يصرخ .. سأذهب وأنتظرك .. !

**دفيء حلو في حلقه .. يسيح على ذاكرته ، والصينية تدور بالكوب تحت تأثير دوران يده من حولها .. **

القاهرة مدينة بعيدة .. رحلة وكفى .. كل الحمام الذي طار أمامي أسقطته قتيلا .. المستندات جاهزة .

– أتمسح حذاءك يا سيدي ؟ !

– هه .. ؟!

– أتمسح حذاءك .. ؟ !

– ماذا .. ؟ !

– الحذاء .. هل تريد أن ..

– لا .. لا .. لا أريد ..

أين أنت يا عصام ؟ .. خيانة الأصدقاء جريمة .. أنت ملك الفكاهة وأحسن من يحكي قصص البنات .. بين الصحاب على سور الكورنيش يأكل حبات الفول المملحة ، لسانه يدور بالتعليقات على كل عابرة .. نادية .. يا حب .. معنا زوج أحذية يرغب في التأهيل ما رأيك .. ؟ .. غرقوا في الضحك .. كيف حصل على صورة من عاملة التريكو الجميلة على شاطئ جليم .. " جيهان " الممرضة بالمستشفى اليوناني في رحلة برية مع الصحاب في طريق مقابر الشاطبي .. ها هنا قام كل واحد بدوره وعلى الآخرين حراسة الطريق الميت .. سائق تاكسي عجوز ضحك عليه وضربه حتى البكاء .. في ملهى " سان استيفانو " حلم ليلة صيف .. سهرة طويلة ..

– مساء الخير يا أمي .. ؟!

– أين كنت ؟ .. أنتظرك على العشاء ..

– كنا نذاكر .. فامتد بنا السهر ..

– والصلاة .. ؟ !

– الحمد لله .. وفي المسجد الحرام يا أمي ..

– يارب هبه مزيدا من الإيمان .. أبوك لا يعلم أنك غائب ..

تلوثت الأرض بالنفاق .. خراب دائم .. للإمبراطور مهابة .. الشعبة ١٠– ١٠ نظام التدريب عند الجندي المصري ، عدد حظائر الطيران الحربي .. مثل العنكبوت يفرض عقوباته على الذباب والحيوانات شهورا .. شهور مضت ..

– هيا بنا بسرعة .. قبل أن تمطر السماء ..

– إلى أين سنمضي .. ؟ !

– إلى المنتدى .. سوف يطلبنا بعد ساعة على التليفون ..

أولئك الذين يجاهدون . قلة مختارة من الناس .. مراكز المواصلات ، ملتقى خطوط السكك الحديدية والمطارات ، الكباري المناطق التي تصلح بصفة خاصة لهبوط أفراد (ك م س) . الغاية تبرر الوسيلة . حكمة الجيل ..

– التليفون يطلبك يا أستاذ عصام ؟ .

– هو .. !

هناك ستكوني .. هناك على مسرح الأوبرا .. فرقة (بول تايلور) الأمريكية للرقص الحديث .. الإسكندرية بلا راقص يهز وسط مسيو نانا .. تغوص في الزحام .. عروض الأزياء .. قوارب النيل .. أبو الهول .. وفق جهاز دقيق مزود بالإمكانيات !

قل له احضر فورا ومعك ناهد ..

– ماذا قال لك .. ؟ !

– سيصل الإسكندرية غدا ..

– هيا بنا إلى حجرتك لنكمل الحديث ..

– حسابك يا مسيو نانا ..

– لكنك لم تسأل عن أخبار الإسكندر .. ؟ !

– اعذرني يا مسيو نانا .. المذاكرة شغلتنا .. هه ما أخبارك .. ؟

– بعد أسبوع .. سوف تقوم آنسة اسمها (بربارة) من جامعة هارفورد الأمريكية .. بعمل أبحاث على أيدي القدور الفخارية التي عثرنا عليها أثناء الحفر .. ألم تشاهد الأواني .. ؟

– بل شاهدتها ..

– كم كانت ناعمة .. !

– .. ثم أخبرني أحد علماء الآثار المصريين .. أنه يعتقد ، أن تكون هذه الأواني الفخارية قد صدرت إلى الإسكندرية في العصرين البطلمي اليوناني ثم الروماني من عدة جزر في شرق البحر الأبيض ..

– تشجع يا مسيو نانا .. !

– الفل .. الفل ..

– أعطني عقدا من فضلك ..

– جمعنا الإسكندر يامسيو نانا .. إلى أين ؟ !

– حبك نار يا مسيو نانا .. !

عزيزتي ماجدة .. أقول لك كل شيء .. بلا غباء .. بلا إحساس بالارتفاع .. يا صغيرتي .. أحس بوجدانك .. قلب العالم معي .. أقر بوجودك .. يكفي هذا الاعتراف .. حاولت الإفلات من آلام حبك فلم أقدر .. ليقيني أنني لا أملك السعادة المرجوة في نظر بنات حواء .. مصري مجهول .. ولا أحب أن أعلقك باللامحدود .. طريق متكرر في يد الغيب .. لا توجد عليه شموع الانبهارات الحية .. السينما .. الملاهي .. المسرح .. سيارة .. فيلا .. لقب جديد ..

ثمة شمعة واحدة باقية .. ربما أموت من أجلها .. والجهاد من أجلها ضرورة .. أعترفت ولا يهمني أن أعرف مقدار كرهك .. أو سخطك .. الصراخ مدفون في أرض بكر .. أفضل طريق للخلاص منك هو الهروب .. فأنت لا تتحملين أشواك

نبات الصبار .. لازلت صغيرة .. أمامك الطريق مفروش بالحب والورود .. ها هم كثيرون .. قادرون على سعادتك .. أنت عظيمة لا تهزمي .. أنت عظيمة لا تهزمي .. أنت قيمة .. انا غارق في البحث عن تاريخ اعتراف بشاعريتي .. مجرد راحة .. لكي أعيش .. شاعر متفرغ هذا أملي .. عقارب صدئة لا تتحرك .. فهل تقبل أنثى هذه الرغبة المحمومة في طلب شيطان يبلع عمرها .. سوف تحمل الصليب محمولا على الأعناق .. دون سأم .. الآخرون كثيرون .. إني جد مفزع متقلب .. لا أقبل قانونا ثابتا .. وهذا ناتج من الحالات النفسية التي تعتريني عندما أكتب القصيدة .. المعاناة جزء من جهنم .. يا صغيرتي ابق في جنتك .. يا قنديلي .. خالص تحيات الشاعر إبراهيم زنوبيا .. !

– العجوز يحب .. !

– الحب أكبر منا يا ناهد .. وهكذا وقع العجوز في البحر .. رسالة في لون البحر..

**** قاس باصبعه الشاي المتبقي .. ورشف رشفتين سريعتين ..****

– أين الباحث الأثري .. مسيو نانا .. ؟!

– هذا الجرسون القزم ..!

– مساء الخير يا مسيو نانا .. !

– انا مندوب مجلة النجوم .. جئت لكي أكتب عنك وأقدمك للقراء .. تكلم يا مسيو نانا ..

– نبتت في رأسي فكرة البحث عن أبي اليونانيين –الإسكندر– منذ الصغر .. وقد قمت بالإعداد لهذا المشروع .. إن فيلفوس أبو الإسكندر من أصل يوناني عريق .. كان ملكا على مقدونية ، ولما مات فيلفوس .. ملك بعده ابنه الإسكندر الأكبر .. أسطورة عصوره .. تغلب على منافسه – دارا– وغزا الهند والمشرق كله ثم مات وهو هابط بجيشه إلى الإسكندرية .. مات في الطريق .. كانت أمه موجودة في الإسكندرية على الساحل .. فحمل إليها فقيدها العزيز في تابوت من ذهب ..

– وأين نفن ؟ ..

– هنا تختفي الحقيقة .. !

– إذن.. ما هي الأشياء التي تعتمد عليها في عمليات التنقيب .. ؟ ! .

– قرأت التاريخ جيدا .. ودرست كل رسائله .. ثم رسمت خرائطي على هذا التقدير ..

– وهل وصلت إلى شيء ما .. بعد العملية الأولى .. ؟ !

– الآنسه (بربارة) الباحثة الأثرية الأمريكية .. تستطيع الإجابة عن هذا السؤال .. لأنها تقوم بعمل أبحاث على أيدي القدور الفخارية التي عثرنا عليها أثناء الحفر..

– وهل تنوي إعادة التجربة .. ؟ !

– حتى أعثر عليه ..

– متى ستقوم بعمليتك الثانية .. ؟ !

– قريبا .. جدا .. !

صراخ وسط المدينة .. الناس يصرخون في الشوارع مجاملة لأجهزة الراديو .. آه يا ليل يا عين .. من القلب يا ست .. من القلب وحياة النبي .. يا سلام .. ألف خسارة على النائمين .. يا ليل يا عين .. من القلب والنبي .. يا حبيبتي يا ست .. مرة أخرى .. يا خلق الله .. الله .. الله .. يا سلام ..

– مساء الخير يا عم سلطان .. ؟

– أهلا يا أستاذ عصام ..

– كيف حالك .. والعمارة .. ؟!

– أنا بخير .. والعمارة لا تعجبني .. لم تعد في مزاجي ..

– يا خبر ماذا جرى .. ؟ !

– الهموم .. المشاكل .. القرف .. شكل الناس .. كل واحد في حال سبيله لا ينظر إلى الثاني ..

– آه .. أين محروسة .. ؟

– موجودة .. أية خدمات ..!

– أرسلها إلى بسرعة .. !

سلالم العمارة مدهونة بالقار اللزج ، الهموم .. ؟! صاروخك الحافي نعمة العصر يا عم .. عطاء فائض .. بناء مرتفع معقد .. صفحة الفن ، الوفيات ، اعلانات مبوبة .. وظائف خالية .. مطلوب راقصة باليه لتمثيل بعض المشاهد الاستعراضية بشرط أن تجيد الغناء والعزف على البيانو .. مطلوب صيدلي متفرغ ليل نهار .. شاب أو آنسة أو آنستان معا لعمل خاص .. مطلوب جراج عربيات كارو في حي الأربعين .. (ترن .. ترن) ..

– محروسة .. ادخلي .. إلى حجرتي ..

– مساء الخير يا سيدي .. أية خدمة ..

– نصف جنيه .. ها هو .. بشرط ..

– أحكي حتى تنام .. ؟!

– هذه المرة .. أريد أخبارك أنت .. أنت .. بالذات .. من تحبين ؟ من تكرهين؟! ما حدث لك اليوم .. أخبار حقيقية .. ! .. تركوا مدافعهم آثارا عديمة النفع .. صدقوا .. كان عرابي يقذف أعداءه بالطوب واللسان .. الصحفي يريدني في عمل خاص دون علم ناهد .. شيء غريب .. الشبكة داهية .. والقديم ذكاء خبيث .

– هه .. هيا محروسة .. ثم أغلقي الباب ..

– أمرك يا سيدي .. ذهبت اليوم مع شقيقتي الكبرى إلى الطبيب .. صرفنا مبلغا كبيرا عنده وللدواء .. قال لأختي ، أنت مريضة بالروماتيزم .. سمعت هناك في حجرة الانتظار كلاما عجيبا وأسماء أمراض مدهشة .. الجدري .. السرطان .. الزهري ، السل ، الربو ، لم اسمع من قبل عن هذه الأمراض .. دخلت فتاة جريئة .. جميلة وقبيحة . جلست على أحد المقاعد بدون كلام .. وضعت ساقا فوق الثانية ، عندما انكشف لي المخبوء .. استدرت جانبا .. يا للعري .. فضائح .. همست جارتي في أذني .. مريضة بالزهري .. انظري إلى البثور القرمزية والبقع

على امتداد الساقين .. الجورب الغامق لم يفعل شيئا .. بعد لحظة شاهدنا عجوزا محمولا على سرير ذي عجلات يدفعه رجلان .. من فمه تتدلى أنبوبة طويلة تنتهي بكرة من المطاط .. تألمت كثيرا .. همست .. مريض بالربو .. كل الناس طيبون لا أحد يكرهني .. وأنا أحبه .. يكد من أجل مستقبله سأبني له بيتا جميلا من الراحة .. البنات أفضل .. سأنجب بناتا فقط .. بناتا لأنهن مساكين .. هه .. نام الأستاذ .. كم أنت طيب . الله موجود . من أجل النوم تهون النقود ؟ يا سلام .. نام الأستاذ ..

دخان الشاي تلاشى من كثرة الاقتراب والابتعاد .. والصينية تدور وتدور ..

– لا .. لم أنم بعد ..

– بسم الله الرحمن الرحيم .. أنت يقظ ؟

– خذي النقود واخرجي .. لابد من النوم .. وسوف يأتي .. مع السلامة .. آه يا رأسي ..

المنظر : خيمة صغيرة وسط أرض جرداء ، بداخلها شاب وفتاة وخادم ، على يمين الخيمة المفتوحة كومة من العصي ، على يسار الخيمة كرة كبيرة من الجلد .. طفل وحيد في أقصى اليسار يتعلم المشي .. الشاب والفتاة مستغرقان في ضحك طويل ..

الفتاة : أحرزنا هدفا في أولاد الكلب ..

الشاب : قلت لك ألف مرة .. فريقنا يلعب بالحكمة ، والقوة .

الفتاة : حوالي مليون متفرج .

الشاب : أكثر .. !

الفتاة : رأيتني أشوط بقوة عجيبة ..

الشاب : كم ربحنا يا ترى .. ؟!

الفتاة : قلت لهم .. أرسلوا إلينا الإيراد بعد خصم المصروفات .

الشاب : وهل عرف أحد هذا المكان .. ؟!

الفتاة : شخص واحد .. عمك أحمد راضي ..

الشاب : أحسنت الاختيار ..

الفتاة : نجحت فكرة النادي ..

الشاب : (يكاد يقع من الضحك) كانوا يريدون .. مقاسمتنا في الربح .. ضحكت عليهم .. نفوسهم ضعيفة ..

الفتاة : أولاد شوارع .. صحيح .. !!

الشاب : (فجأة) ياه .. لم نأكل ولم نشرب ..

الفتاة : (تنادي) يا أحمد . جهز لنا الفراخ بسرعة ..

الخادم : بسرعة يا سيدتي .. في دقائق ..

الشاب : ندخن .. خذي سيجارة .. (يشعلان سيجارتين)

الفتاة : أسرع يا أحمد ..

الخادم: دقيقة واحدة ..

(الطفل الذي يتعلم المشي وحيدا .. يقع ثم ينهض بجهد .. كلما يهم بالخطو يسقط .. يتلفت حوله عند سماع ضحكات صاخبة صادرة من الخيمة) ..

الفتاة : أيام زمان .. أتذكر ؟

الشاب : ملعون أبو الفقر ..

الفتاة : الضحك على الناس مفيد .. ذهب وثروة ..

الشاب : ماداموا يحبون الكرة .. فلا بأس ..

الفتاة : كنت طالبا .. لا قيمة له ..

الشاب : وأنت .. ؟!

الفتاة : نفعتنا سرقتك الكبيرة ..

الشاب : الحمد لله .. بفضل معاونتك طبعا ..

الفتاة : كان عجوزا .. أليس كذلك ؟

الشاب : نجابته لم تفده .. لأنه كان طيب القلب .. وهذا هو الذي شجعني على سرقته علنا ..

الفتاة : لكن .. قل لي .. !

الشاب : هه .

الفتاة : متى نتخلص من كل العصي ؟!

الشاب : لا .. لا .. لا يمكن .. !

الفتاة : ستحملهم معك .. إلى كل مكان .. ؟

الشاب : الدفاع عن النفس واجب ، سيضربون ليرثوا النادي ..

الفتاة : أخواتك يكرهونك إلى هذا الحد ؟

الشاب : كلهم .. أعوذ بالله منهم ..

الفتاة : (تضحك بفتور) حاولوا .. مغفلين صحيح .. حاولوا الاتفاق معي لكي اقتلك وأرث النادي كله بدون شريك .. بهائم ..

الشاب : (يطفئ سيجارته بعصبية وتتجمد حركته وسروره) ماذا ؟

الفتاة : أنت .. خائف ؟

الشاب : لا .. لا .. أبدا .

الفتاة : لا تحاول .. أنت موسوس .. !

الشاب : متى قالوا هذا الكلام ..

الفتاة : لم أرد إزعاجك ..

الخادم : (يتقدم إليها بأطباق الطعام على مائدة صغيرة) .. تفضلا .. ؟

الشاب : مستحيل .. !

الفتاة : ألا زلت خائفا .. ؟!

الشاب : أين الصحفي القديم اليوم .. ليسمع ما يدبر لي .. ؟

الفتاة : أوه .. زمن مضى ..

الشاب : حتى الكرة .. لم تنسهم شيئا .. !

الفتاة : غدا ينسون .. اصبر .. أكثر من المباريات وأنت ترى ..

(ينشغلان للحظات في التهام الطعام .. عندئذ ينفلت الخادم من الخيمة بحذر ، يقترب من الطفل ويساعده في تعلم المشي ولكن بخوف وصمت)..

الشاب : (فجأة) يا أحمد .. !

(يحاول الطفل التعلق بجلباب الخادم وهو عائد إلى الخيمة فيسقط الطفل على الأرض ويمسح دموعه بكفه ، يهز رأسه بأسى) .

الخادم : (باضطراب) نعم يا سيدي .. ؟!!

الشاب : أين كنت ؟

الخادم : توهمت أنني سمعت صوتا فخرجت .. لكني لم أجد أحدا ..

الشاب : متى حدث ذلك ؟

الخادم : لم أجد أحدا ..

الفتاة : مالك خائف .. اطمئن .. انا بجوارك .. اذهب أنت يا عم أحمد ، وجهز لنا المشروب المعتق ..

الخادم : بسرعة يا سيدتي ..

الفتاة : أشبعت .. ؟!

الشاب : أخبار منغصة ..

الفتاة : ألا تصدقني ؟!

الشاب : أصدق .. !

الفتاة : وأحمد أشد الناس إخلاصا لك .. ألا تصدقه .. ؟!

الشاب : أصدق !!

الفتاة : لكنك موسوس .. !

الشاب : هكذا خلقت ..

الفتاة : لم تخلق هكذا .. ؟

الشاب : قولي .. ما يعجبك ..!

الفتاة : منذ السرقة الكبيرة .. منذ ذلك اليوم وأنت ، دائما خواف من أقل الأشياء ومن لا شيء .. موهوم .. موسوس .. !

الشاب : أخبار منغصة .. !

الفتاة : عد إلى ماضينا .. ماذا كنا نفعل ؟

الشاب : لكن الموقف تغير ..

الفتاة : لم يكن هناك أخطر من العمل مع الصحفي القديم .. وبذلك حققنا أملنا ولم يمسسنا أي ضرر ..

(الطفل يصرخ فجأة بحدة ، يخرج الشاب والفتاة خارج الخيمة بسرعة .. فيفاجآن به) ..

الشاب : أنت صاحب الصوت المزعج ..

الفتاة : المشلول ؟! .. من جاء بك إلى هنا .. ؟

الشاب : هه .. انطق ..

الفتاة : دعه يبكي .. فهذا حله الوحيد ..

الشاب : إياك أن تزعجنا مرة ثانية ..

(الشابّ والفتاة يعودان إلى الخيمة ، بينما الطفل يظل يحملق في الأرض وهو جالس يبكي .. تنطفيء اضواء النهار الواضحة . سوى نور باهت أصفر سلط فوق رأس الطفل .. ومن اللاوعي يناديه صوت نسوي عجوز) ..

الصوت العجوز : يجب أن نبقى معا في السجن .. قالوا ذلك يا بني الحبيب .. وأنت .. الذي تمتاز بالقلب والقدرة على المشي والقفز .. جعلوا منك وليدا يتيما .. صيروك مشلولا ..الكلمة الأخيرة قالها أبوك ، قد مات من أجل بلاده .. علميه الحرية .. ليكون وطنيا .. أنت .. أنت ستكون .. أشعل النار في خزان بترولهم .. اقتل منهم ثمانية وأربعين .. يا حبيبي الصغير .. لا تبك ..

(الطفل يستمع بدهشة وغرابة .. يحاول الوقوف .. ثم يقف .. عندئذ يأتيه صوت نسوي شاب) .

الصوت الآخر : كل هذه الأشياء غامضة .. كلهم يدعون حبك .. منافقون .. مراؤون .. أنت وحدك ستقدر مصيرك .. فكر معي .. مات .. لما مات دقوا يده بالمسامير ، ذبّحوه فافهم .. أخوك .. قف فأنت الأمل ولا تسمع كلام أحد .. أنا أختك .. من حقك أن تسأل ماذا أفعل .. !!

آه يا عزيزي .. يا أمل البنات .. لن أحرمك من النضال .. أنت حر .. قال أبوك

ذلك .. أما ذلك الزيت الأسود في القاع .. الذي يعكس وجوههم .. دمهم للأسف .. لا .. لا .. لا أسف .. سوف يعرفون خطأهم عندما يتأملون ذواتهم .. بالحراب الخشبية سوف تملك مستقبلك .. أغبياء .. لماذا نسوا ؟! الأخشاب أسلحة فتاكة .. اضرب ، تعلم المشي .. بالنسبة لي .. سأعلمك .. لدينا الوقت .. عندك الأمل وعندي .. لا تجثو على ركبتيك إلا عندما تريد كرامتك .. الخوف .. أبصق عليه .. يجب أن تسرع .. هه .. (تعود الإضاءة النهائية العادية .. رأس الطفل تميل إلى اليمين يستمع إلى الضحكات الرنانة من الخيمة)

الفتاة : ذهب أحمد ..

الشاب : ليخلوا لنا الجو ..

الفتاة: سأقول لك نكته ..

الشاب : مليون قبلة يا نور عيني .. قولي ..

الفتاة : ذهب ليجلس على القهوة .. فقعد على الشاي ..

الشاب : (يخنقه الضحك) لا .. أن .. أنت معجزة الفكاهة .. أ .. أن .. أنت زبد..

الفتاة : (يتأرجحان ويتمايلان مثل السكاري) ألف نكته في ليلة .. مواهب .

الشاب : الأفيون والمعتق .. مزاج ..

الفتاة : هاها .. لم يبق سوى .. ؟!

الشاب : الدنيا أظلمت .. ؟!

الفتاة : اظلمت .. أم لم تظلم .. المهم لا أحد معنا .. هيا ..

الشاب : ليالينا سعيدة .. يا سلام .. ناهد .. أنا ملك يديك .. (يتعانقان طويلا .. المكان يظلم .. يسمع صوت الطفل وهو يتمتم بكلام غير مفهوم) .

دفء الفردوس .. مآت القابع في صدر العذراء بخنجرين طويلين ، عصام والصحفي القديم .. يا عصام قبوك يحميني .. جبال لبنان مليون ، رحلة حول أوروبا .. لم أستدر لأمي .. نسيت شقيقتي البلهاء المريضة .. أما أبي فقد مات .. مات على صدر امرأة أخرى غير أمي .. العشق . الطوافون حولنا .. احترس من

الشفاه والعيون .. الصحفي القديم قال لها : عمل خاص لك وحدك .. لصق الإعلان على الجسد العاري .. شراب مر .. دموعها .. دموعها .. ها هي يا عصام على جدار اصم .. جيد السمع .. هب أن الله وجده يوما .. هل سيحبنا بهذا المنظر ..

– يا ناهد ..

– نعم يا ماما ..

– امتد بك السهر .. كفى مذاكرة ..

تلعثمت .. شيئان في الذاكرة .. زوج هرب إلى عشيقته وابنتان .. قيدان على امتداد ظلك .. الليمون طحنوه داخل بئر البنت المثقفة .. الزيف اسمه يا أم ..

– اقترب الامتحان يا ماما ..

– لكن صحتك .. يا ابنتي ..

عميان .. عميان .. الرقم والصورة واللون .. اعموهم إلى ما وراء كل الكائنات الحية .. أبعد من بلاد الثلج .. وحدك دون عصام ماذا يقدرونك ؟ .. شبكة ممتدة .. في غمضة عين .. إلى نيويورك .. برلين .. لندن .. باريس .. هوليوود .. الخوف قذر ، غصن واحد ..

– ناهد .. ناهد ..

– أنا قادمة يا ماما ..

– صحتك يا بنتي ..

يا لوعة نسيان ، حجاب أمك مطرز بخرز ملون على الحائط ، اقتربت منه وفضت المكنون .. هذا حجاب عظيم الشأن جليل القدر ، يحتوي على السبع آيات المنجيات والسبع عهود السليمانية .. نافع للزواج ولتسهيل الولادة ، أمان من كل سوء ، التقى النبي سليمان ذات يوم بامرأة عجوز شمطاء ، زرقاء العينين ، ناشرة شعرها ، فاتحة فمها يخرج منه لهب النار .. تشق الأرض بأظفارها ، وتقطع الشجر بصوتها . قالت للنبي سليمان : أدخل البيت أصيح فيه صياح الديك .. وأنبح فيه نبح الكلاب .. وأنهق نهيق الحمير ، وأتمثل لهم بكل الأمثال

وأعقد الأرحام وآتي إلى الخاطبين فأعقد الذيل بالذيل وأبشرهما بالويل . أنصف الأرض المحروقة . أنسف الأرض المحروثة . أجئ إلى الأطفال وألقي عليهم الحمى الآلام . فتتشوه صورهم ..

– يا ناهد .. صحتك يا بنتي ..

– حجابك عظيم يا أمي .. من باعه لك .. ؟!

– ضعيه مكانه .. لا تلمسيه إلا طاهرة ..

– قرأت الكلام الفارغ الذي بالداخل ..

– ماذا .. ؟ .. مصيبة .. مصيبة حلت بنا ..

وقفت تجابه حضارة الفئران .. مرارة الحقد .. تراب الخرافة .. عُلقوها على مشجب الخوف .. وقف النفس .. فتاة الشارع .. طابور .. طابور .. بلابل تأكل رأس قطة ميتة .. المزكومة رائحتها فاحت .. !!

**أحس بكمية الشاي تقل .. فأغمض عينيه وسكب في جوفه بحكمة .. **

اندمجوا وسط الجمهور .. نريد منك قطعة فلين .. تعوم ، تسمع ، تفكر ، تسجل كل شيء .. في السقف طابور من المصابيح الخافتة .. زحام بين المقاعد .. رجال ونساء وأطفال .. بائع المثلجات ومفتش التذاكر محشوران ..

– أنا في القطار المسافر إلى القاهرة .. ؟!

– نعم ..!

– أعطني الطفل على ركبتي ..

ناوله قطعة لحم عارية ترتعش .. مصباح مضيء وآخر منطفئ . هكذا على التوالي . دخان السجائر في السجن .. الطبيب قد قال : افتحوا النوافذ .. ففي صدوركم أنفاس والعدوى سريعة .. السل والربو .. البرتقال بملء الكفين من يشتري .. ؟! وزيادة من يشتري ؟

– أين تذكرتك ..

– تفضل ..!

قضمها مثل كلب .. قطع التاريخ ومضى ، الثرثارون متحابون بلا إشارة مرور .. (قضيت عشر سنوات في خدمة الإنجليز .. طاه .. وعاشرت الأتراك أكثر من ذلك .. أبرع من قدم مائدة .. أعددت يوما مائدة لأبناء محمد علي .. السلطان حسين حدثني وشكرني .. أما سعد زغلول فكم كان طيبا .. عندما عاد من المنفى واستقبله الشبان في بيت الأمة .. أعددت له أفضل مائدة) .. تأمل .. اسمع .. ناهد ..سافر عصام فانتظري عودته .. ها هي الصور والمستندات من قلب البحرية ، أنت أمهر شاب في الجهاز .. سوف نعتمد عليك في أشياء أهم .. ما رأيك ؟ .. ناهد هي سر بقائي معكم .. لا تنسوا ذلك .. هل سأبقى في الجهاز أبدا .. ربما كرهتنا يا عصام .. لا .. لا .. القلق بدأ يساورني .. أريد أن أطمئن على مستقبل المليون جنيه .. ترن .. ترن .. آه .. آه موسيقي أعمى .. العشرة الطيبة وتمر حنة .. أنت مع ركاب الثالثة .. من الضروري تضليل الرأي العام .. أصابع الديناميت .. فجر ..

– الحكومة رفعت الأسعار من جديد .. ؟

– يا خبر أسود .. !!

– متى يا أستاذ .. متى حدث ذلك ؟

– في الإذاعة في الصحف .. في قاعات الاجتماع .. قرار جمهوري ..

– هذا صحيح ؟!

– قولي لي .. من كسب مباريات الدور النهائي في كأس مصر .. ؟!

فتح النافذة وأطل من شرفة الفندق الكبير .. ميدان فسيح .. مدينة البقع الغامقة .. للنظافة .. أوقفوا الحركة .. وقلموا أظافر السائرين ..

– من فضلك .. أريد أن أصل إلى جريدة المفتاح .

-تركب الترام رقم ثلاثة بشريط أخضر ، ثم تهبط في نهاية المسافة وتركب الترام الآخر بدون شريط .. تهبط في آخر المسافة وتسير عدة أمتار وتسأل .. إذا وجدت الجريدة فاحمد الله .. وإذا لم تجد شيئا .. فالعن الزمن ؟

– الأهرام .. الأخبار .. آخر ساعة .. الجمهورية ..

- أعطني الأهرام .. ؟ ..

الموقف يزداد خطورة ، نجم الكرة الصغير يتحدث بصراحة .. رجل يقتل شقيقه ويدفنه في حجرته لينفرد بزوجة أخيه .. أين تذهب هذا المساء .. ؟ .. إعلانات .. رفضت السلطات المسئولة السماح للباخرة - مارس - بالمرور في قناة السويس ، كاريكاتير العدد .. تقييم رابطة الأدب .. والوفيات .. الذكرى السنوية للشهيد .. ذكرى الاربعين لفقيد الشباب .. فقيد الجامعة .. أحمد عبد الجليل .. يا خراب الأرض .. هه .. صورته .. نعم .. هو .. هو بعينه .. آه يا أحمد .. عدمتك يا أحمد .. لكنك أفضل حالا مني .. وجدت خلاصك من الدنيا ..

- تذاكر .. تذاكر يا أستاذ ..

- إلى آخر المسافة ..

سواء وجدت الله الذي صليت من أجله كثيرا أم وجدت الفراغ فقط .. لا .. لن أراك .. كما تساوي الآن ؟ .. دموع أشواقك يا صديق الصبا إلى أيام مضت .. خذها ملكك .. لالا أحمد يقول الرقص حرام .. في الكلية معا .. جمع القروش من الزملاء لينشروا إعلانا باسم الأصدقاء في تعزية والد صديق .. يا ولدي أحمد .. هذه أدوات الشاي .. اصنعا كوبين للسهر .. معكما الله .. عيناك يا عم .. بلا هوامش ولا رموش .. عصاتك دليل أمان .. ماذا تفعل اليوم بدون وحيدك أحمد ؟! .. توقف الترام وسار يتأرجح .. سيجارة بين شفتي آنسة في مقعد منفرد .. العيون تطل من خلف الدهاء .. عن سلطان ابن الغمارة ، عن إبراهيم بن زنوبيا عن ناهد بنت الشوق عن الناس المجربين .. إن القاهرة بالوعة قذرة فاحترس .. تدخن سيجارتها بسعادة فائقة كأن أحدا لم يمت .. ! ملايين الصفحات .. ملايين المجلات والصحف .. شاعر مقلوب الرأس .. شاعر آخر مسحوا صورته ورسموا ظله الأسود وعلامة استفهام كبيرة .. على امتداد ثلاثة أعوام تجده مطبوعا على الورق .. مطبوعات الدار القومية .. دار المعارف .. الهلال .. الشرق .. شاعر على مقعد أمير الشعراء ..

- من .. محروسة .. ؟ ..

– طلبني الأستاذ عصام .. !

– عصام مسافر إلى القاهرة .. !

شراعة الباب مفتوحة .. ماجدة تذاكر .. طفلته المدللة .. أقدام ناعمة تقترب .. خيال تجسد خلف الزجاج .. ارتفع صنبور الدم وأذاع القلب وثائقه السرية عطر وشوق ..

– مساء الخير يا ماجدة .. !

– مساء الخير .. كيف حالك .. والأستاذ عصام .. ؟!

– عصام في رحلة إلى القاهرة مع زملائه ..

– متى يعود .. !

– عندما يعود .. سؤال مهم .. !

– مجرد سؤال .. عن إنسان طيب مثلك .. !

المقهور يشرب عرق سوس منشط ليحاول .. قدسية بيت المقدس ، لا تحارب .. مراكب نوح النبي فوق رأسي .. يا مربعات الجنس خطوطا .. خطوطا متكسرة على يد بيكاسو .. حرك ذنبه ليتنفس .. غاب ليلة .. غبت شهرا فلم يسأل أحد .. عم سلطان متألم .. عبء عمارة تتبول فوق رأسه .. مطابع سنوات ثلاثة كاملة .. اسمه مكتوب بالنقد والاعتراف .. من ؟ .. الحيتان من القاع .. وإلى القاع .. زوبعة الصحفي القديم في –المفتاح – .. ولدوها .. الربيع إلى الخريف إلى الليل .. كبرت وتعلمت كيف تصطاد الحيتان .. دربها على الرقص .. هكذا المليون جنيه .. وظيفة الصالحين للحياة .. مثل عيون السمك الميت .. سيئات بالمقال والخبر والإعلان .. نامت فوقه .. كان الوطن .. الصدر بللور مكور .. والبطن فرعي رشيد ودمياط ..

– استعدي الليلة يا ناهد الشرق ..

– عليك الرحمة .. ماذا قلت .. !

سرق الحمار السمين الأحجار الكريمة من البئر المفتوح .. ضاعت .. بهتت معالم البئر .. صدقيني . صدقيه .. في الشارع عربة مكسورة أعادوا لها الشباب

.. دخنت مثل مصانع الحديد والصلب .. وخزاتك يا مخادع .. الحيتان استيقظت من جديد بدأت تعبر المحيط وترتد وتعبر المانش وترتد .. صرخت .. يا سادة .. الخلاص من الدودة .. أنقذوها ..

– لنبق معا ..

– التليفون يرن .. !

– دعيه .. !

– لا .. لا .. لابد من الرد ..

– اذهبي وحدك .. !

– ؟! ؟! ؟!

– من .. ؟ ..

– رجل صرخ – وضحك .. وبكى .. ثم أغلق الطريق .. !

– مجنون آخر .. !

بعيدا عن الميدان .. قصيدة جديدة .. العمارة وعم سلطان في صمت الآثار .. وجها لوجه .. جيش الذكريات قادم من الخلف .. ماجدة سمك .. وياقوت سمك .. البلاد مفتوحة بلا حارس طوال الأيام السابقة .. تعلم التدريب على العذاب .. حجرته تكدست بالكتب وبدأ يولد الفئران والصراصير .. صرصور توأم على خريطة العالم المعلقة .. وبدأ يقرض الورق بدءا بالقارة الإفريقية .. رفع ذراعه ليضرب ، هرب إلى آسيا .. إلى أوروبا .. دبر للملعون خطة .. لكنه عبر المحيط بأمان .. رفع كل قادر حذاءه في مظاهرة عامة .. انبهرت كل العيون .. الرحيل يا ابن الكلب .. شنق الصرصور في ميدان عام .. شنق .. لحظة رفع علم الحرية ..!

– كلنا فداء لالا ..

– نريد رقصة العمر .. يا لالا ..

– الفل .. الفل .. الفل يا عشاق ..

– إنا نعبدك .. يا لالا .. يا قديسة الفن ..

الحاقة ما الحاقة .. وما أدراك ما الحاقة .. ؟ .. ربما يغفر الله .. ملتصقا

بالذات كمخرج وحيد .. هواء بارد في حلقه .. في أذهانهم أسطورة الطيب عم سلطان .. أسير بناته الخمس .. يتعذب برضا الله .. حبا في الله .. تربية الأولاد صدقة .. لا بأس .. الحكومة لا ترحم .. صدر القانون .. هبطت إيجارات المساكن .. غضب صاحب العمارة .. هبطت قروشك أيضا .. قانون ضده .. يا ناس .. قانون واحد لا يفيد .. " المنتدى " لا يرتفع له سعر ولا ينخفض .. لالا اشترت كل الزبائن منذ الخليقة الأولى .. الخبز الجاف أين يجده ؟ .. خمس بنات وأم وأب .. كسوة طفل المنتدى .. يساوي ألف رغيف يحتاجها متسولوا المساجد والكنائس .. الله موجود .. سيدنا النبي عاش ومات فقيرا ..

– أنا من نسل سيدنا النبي ..!

– ألا تعجبك رقصات لالا .. يا عم ..

– لأول مرة .. اتفرج ..

– ادخل وجرب حظك ..

– سأتفرج وأنصرف في التو ..

– قال مسيو نانا .. الوقوف على باب المنتدى ممنوع .. !

الحكومة الرشيدة ساهرة على مصالحنا .. سيدنا النبي أنا من أبنائك .. لي عند الكريم فضل .. يوم تمور السماء مورا .. وتسير الجبال سيرا .. تدور وتدور بين الموائد .. صراخ السكارى ملأ الدنيا .. بشوق .. يا ساتر .. قطعوا ملابسها ..

– أقول لك .. ممنوع الوقوف على الباب ..

– وإذا كان حبا في الله وشوقا ..

– أنت كاذب .. هه . جئت أسألك من أكون .. ؟!

– متسول .. !

– لكنهم أعطوني المسبحة .. وقالوا لي .. أنت من نسل النبي .. فاصبر ..

– كلنا فداء .. لالا .. الفل .. الفل ..

وحدك في القاهرة .. جو مشحون متوتر .. قال لك .. تعلم الأعمال الأخرى

لتدخل منزل وكيل الخارجية .. خذ أقدامك إلى معرض الفنون التشكيلية .. ساعة سرحان في الألوان ..

– كم ثمن التذكرة .. ؟ ..

– الدخول بالمجان .. !

امرأة واحدة اخترعت فن الرسم .. تقول الأسطورة الإغريقية .. أرادت امرأة الاحتفاظ بصورة لزوجها الذاهب إلى الحرب فرسمت صورته على الحائط..!

– كل اللوحات عارية .. ؟!

– يعد رسم اللوحات العارية . تمرينا إجباريا لتأكيد مهارة البدء .. وبواسطة اللوحات العارية قدم لنا الفنانون أعماق نفوسهم بوضوح .. انظر .. مغنية الشوارع .. الراقصة الأولى .. تائهة الصبا .. خرج إلى الشارع على رأس أفكاره .. ما يروقك .. افعل أنت حر . أنت شاب مفتوح على جميع التجارب .. أخرج الأطباء سبعة عشر ألف حصوة من مرارة سيدة رومانية من أصل إغريقي .. وكانت المرارة التي ازدحمت بهذا العدد من الحصوات قد تضخمت جدا .. ذهب إلى مركز الشبكة للتدريب على أعمال النجارة والطهو والكهرباء .. وكيل الخارجية .. من هناك تصل إلى أفضل النتائج .. !

في انتظار الرقم .. !

الصمت رابض فوق الصدور .. عيون ذابلة تتابع الأرقام الخارجة والداخلة .. آنسة جميلة تجرى بين الحجرات .. آه .. آه .. يا رأسي ، حضن رأسه وهدهدها بالراحة القريبة .. صداع .. أرق .. أعمال رهيبة .. عار صاعد إلى الرئة .. بين الشفتين وقف الرقم .. تلفت حوله .. سار إلى حجرة الطبيب .

– ماذا عندك .. ؟ !

– صداع .. أرق .. عفونة في المعدة .. تمزق في المفاصل ، أريد أن أنام .. فإذا استجاب الطب لمطالبي كان تقدميا ..

– اطمئن .. علاجك ميسور .. !

– قل لي من فضلك .. ألم تشعر يوما بالذنب .. ؟!

– ذنب ؟!

– سؤال سخيف .. اعذرني ..

– ما اسمك يا أستاذ .. ؟!

– عصام الترجمان .. حتى الاسم .. يدل على أصل السخف .

– أنت مجهد .. هل يؤرقك شيء ما .. ؟!

– وأنت .. !

– كلنا بذنب .. عوارض غريبة جارية مجرى المرض .. ميل منحرف للمعصية .. هناك ميول إلى أكل الطين .. فطرة أصيلة .. لذا قالوا الأطباء أنبياء .. داء ودواء..

– ذنبك خطير .. !

– علاجك سهل . فاطمئن .. المهم .. أنت محتاج إلى مكان هادئ .. والتخلي عن كل مشاغلك لفترة ..

– هذا مستحيل .. !

– إذن .. أنت معرض – حتى لا أخدعك – للاصابة بانهيار عصبي عام .. منذ متى أصبت بالأرق .. ؟!

– زمن مضى كذلك .. !

جسم نوراني علوي متحرك .. مخالف بالماهية الجسم المحسوس .. سار فيه سريان النار في الفحم .. لا يقبل التحلل أو التبدل .. مفيد للجسم .. صالح للفيض لعدم حدوث ما يمنع من السريان .. يحصل الموت لانقطاع السريان .. مسكين .. مريض داخل العالم وخارج نفسه .. متصل به ومنفصل عنه ..لكنه متعلق به هو .. رسالة مفردة ..

– تفضل .. تذكرة العلاج .. تناولها بدقة .. عليك بالراحة ..

– لدى عمل .. لدى عمل .. متأسف .. عمل مهم ..

– أنصحك مرة أخرى .. أنت مهدد بانهيار مفاجئ .. انتبه ..!

أنت عصام نفسه .. هو لا غيره .. ماذا بقى له بعد هذا .. غاضب يحاول الهروب من ضيقه .. الأرق .. هناك مورد ثابت مكرر .. محل رتيب .. لا .. لا لشيء .. شبع لا جوع .. راحة لا قلق .. جديد لا عميق .. صفحة جديدة تؤكد أنه هو لا هو كما يزعمون .. الانتحار لقب مستقبلي .. عمود سيء السمعة اسمه الندم .. كان والداي يدعواني للبقاء إسبوعا جديدا .. مشاعر طيبة من أجل عادة قبيحة هي زواج ابنتهما الوحيدة .. بقيت سجينة منزل واحد ، الأواني بجوارها ، الغسيل موضوع في النار الحارقة .. هي تقول له : يا زوج ابنتي العزيز ، فيك وضعت ثقتي ، بانتظام كان يزورنا .. لاتزال شابة حية تعيش في سجنها المنزلي مثل حيوان عزف عن كل الأطعمة لسبب مجهول .. إلا طعاما من صنع هذا الحيوان الأليف .. في البيت المجاور ذي الطوابق العديدة .. انضم طفل عار وطفلة عارية إلى حلقة واحدة .. خلصنا جلدة الطفل المتدلية من حق البنت .. بيوت الأزياء عرت الصدر .. لا رخاء إلا بعري الكل . وجود حي . أنت . أنت . بيوت عتيقة يحكمها جيل سابق . برود سابق لأوانه .. خزعبلات ، أية أرض هي لك ، دون سواها . أرفض .. أرفض .. ملاقاة الشبان على الطوار من واجب البنت .. قالت لأمها : في داخلي شيء مثل البرغوث ، يأكل ، يقرص .. ملتهب مثل النار .. انظري أين أضع إصبعي .. هنا ..

– يا للعار .. يا للحسرة .. يا للعار .. يا للعار ..

– انظري يا أمها .. ابنتك ناهد سوف تتزوج ملك العالم .. زعيم اللصوص الشرفاء .. هيا بيعي ماء زمزم للمسافرين يا أمي .. متى تشترين لي شابا ألعب به .. أنا رجل يا أمي .. هيا ننام معا .. أردافك عالية مثل جبل ..

– العار .. العار .. العار ..

– لماذا الدموع الآن .. سأنجب منك ولدا اسمه عصام .. القطط لعبة مسلية .. هيا مشطي شعري .. !

الصمت غلاف براق ، لافتة داكنة ، جمعية الأرواح بالإسكندرية .. الأمر .. مقاعد .. ستائر .. مصابيح .. مفارش .. شخص مصور معصوب الجبين .. جبال

واقفة خلفه .. منشورات معلقة على زجاج النوافذ .. الروح تهبط من فوق إلى تحت .. الحياة شطارة .. لا حركة منذ الأمس .. ما عنده سيقوله .. البنت إيمان في سلطة مطلقة .. أنتم الزمان . كلكم بلا مكان .. بحثتم عن مكانكم لن تجدوه .. إذا بحثتم عن زمانكم وجدتموه قد هرب .. ما معنى الزمان .. ؟ إذا جاء نصر الله خلقناكم في الزمان .. والفتح . دون المكان رأيت الناس يدخلون أفواجا .. النصر .. الفتح .. الناس .. تسود وتبيض وتصفر وجوهكم .. اغسلوا ثيابكم عند ناهد .. مكانكم مفرطح .. إيمان .. من صقيع البناء إلى دفء الفردوس .. يبدأ الثلج يغطي سهول سيبيريا .. أسراب الطيور تحلق في السماء جريا وراء الشمس .. لا مرض عند إيمان من الآن في دفء الحكمة .. انكسرت علامة الصمت .. لا عائل لنا ..

– ادفعي ما بيدك . ؟ .

– ساعة ذهبية .. أسورة ذهبية .. ألف شكر يا جمعية الأرواح ..

– ماذا فعلنا يا أمي ؟!

– سأخبرك بكل التفاصيل في المنزل ..

– هل كنا نبحث عن شاب ألعب به .؟!

– في المنزل .. سأقص عليك كل شيء .. التحدث في الشارع عيب ..

بالرفاء .. والبنين .. شموع الأفراح .. عقبال عندكم .. تهانينا يا إيمان . ألف قبلة .. مليون مبروك ..

– قطار أبي قير بعد دقائق ..

– أعطني تذكرتين .. !

– هل كنا نبحث عن شيء ضائع .. ؟ .. أبي مثلا ..

– سأخبرك بكل شيء .. التحدث في الشارع عيب ..

**** مجرد لون أحمر داكن يتجرعه .. كأنه لا يرى ولا يسمع .. والصينية تدور .. ****

تحرك القطار .. أسرة تكونت في سرعة عجلات القطار .. منازل .. منازل

.. شوارع .. شوارع .. طابور عربات كارو محملة بالقرنبيط هه .. بقرش جزر .. بقرش بقدونس .. نصف كيلو طماطم .. بصل .. ملح .. خمسون درهما من اللحم المشفى .. وجبة غذاء اليوم .. صرخ الركاب فجأة (سقط رجل تحت العجلات)..

– ماذا يقولون يا أمي .. ؟ ..

– لا .. لا .. لا تخافي .. !

– هل وجدت شابا ألعب به ؟!

– سأخبرك في المنزل بكل شيء .. !

العمر .. عجلات قطار ، القلب ظمآن أحلام ، يا تلك الكلمات ، أنا مشتاق لكلمة أمان ، نبض القلب ، دقات في فراغ هوة عميقة ، يا تمثال الجراح يا نواح ، ملامحي تنزوي بلا رفيقه ، أحلامه بعيدة . مشتاق إلى كلمة حب .. وهذه قصيدة – العمر الممتد– شارع أبي قير ، فأر تائه في مخزن أوراق .. صحف .. مجلات .. كتب .. !

دقات ناعمة على الباب .. أخفى الميت الحي في جرابه بسرعة وفتح الباب..

– مساء الخير يا أستاذ ؟!

– ماجدة ؟!

– للأسف .. أزعجتك بدون موعد سابق .. الأمر لله .. امتحان التجربة غدا .. ماذا أفعل مع ناظرة معقدة ..

– لا أسف .. أنا تحت أمرك .. !

علامة سابحة تدعوه إلى التقدم .. شحبت عيناه وضعفت ذاكرته أمام انتباة الجيل .. ماجدة كشفت بلاط الحمام المرمري دون مبالاة .. تنهيدة حارة .. دقات قلبه في هوة فارغة .. وقف تحت لافتة الخجل ومد إصبعه إلى شفتيه ماذا فعل ؟ مائة قصيدة من أجل أفريقيا .. أشواق .. عجوز مشتاق .. فضيحة .. قل ، تكلم .. انطق .. تشجع .. لكن سوف تكون موجز الأنباء في مدارس البنات ، باب قديم .. صدئ .. قفز من شارع إلى شارع .. من نافذة إلى أذن .. إلى إعلانات

مبوبة .. من أعلى العمارة إلى أسفلها .. تفصيل الموجز، سألك عم سلطان .. جادلك عصام بسخرية لاذعة .. قال لك الموظفون بالطيران، حلق في السماء ياأبو جناحين ، ياقوت أخو ماجدة .. عيب يا أستاذ ، أبي يطلبك فورا لسؤال .. مسألة ضرورية .. خطيرة جدا .. ضحكت ماجدة .. هذا الحكيم ضيع مستقبل ماجدة .. احكموا عليه يا سكان العمارة .. ؟!! . الضرب التشهير .. شكوى إلى رئيس الجمهورية .. السماح لأحد المواطنين بالتشريد .. ضد العبث قانون .. أنت بريء .. ضربوك .. سحلوك .. جذبوا عينيك إلى سلم الطائرة .. ضحكت المضيفات .. يصلح ممثل سيرك . ممثل سيرك عاش ..

– يا أستاذ .. يا أستاذ .. ألا تسمعني .. !

– هه ... ؟ !

– أتفكر .. ؟ .. أنت مجهد للغاية ..

– لا .. لا .. قولي .. أين السؤال الصعب .. ؟ !

القطار يجري إلى أسوان .. ضوء النهار مخنوق بالحب بالسحب المتكاثفة .. تأمل كوب الشاي .. وقرأ في قعره .. الضمانات الأساسية للمتهم .. حمايته فلا يعذب حمايته .. حمايته فلا يعذب .. ألا يتجاوز العدل معدل المعقول .. مقومات حياة الإنسان .. الإطار .. فتح الحقيبة وأخرج مذكراته الخاصة .. أشواقي ناهد .. لا شيء أقسى من بعادك . خبريني كيف تتنفسين بطمأنينة .. لقد أصيبت بانهيار طفيف في الأعصاب .. الأرق لازمني فترة طويلة ولم أخبرك .. القطار مسافر بي إلى الأقصر وأسوان .. بحثا عن الدفء والراحة والامان .. هكذا نصحني طبيب الصحفي القديم .. مسافر .. لقد نضجت ثمارنا .. واضحة لنا الآن .. لا تقلقي .. السد العالي لأول مرة .. سوف أكشف عن كذبة ضخمة روجوها بالإعلان ومكبرات الصوت .. سماعك دفء مفقود .. عاجز أمام الأرق .. سجين .. من يغمض عينيه يبصر أكثر .. الصور على الأرض.. بصق عليها .. الأب العمودي وقف يكشر .. أنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين .. سب أبوه العالم وخرج ، حمل وحده كلماته على رأسه .. من أجل الباعة الجوالين

الواقفين تحت المنزل .. ضرب .. لعن .. القطار يجري .. أيمدنا أحد بالطعام ، حانة عمار آتية .. برغم ضجيج الزلط المطحون .. اهمس .. انت الشريط .. انت خارج الجاذبية الارضية ، دعني أصف لك ما حدث ، تعلمت النجارة وأعمال البياض .. عملية متقدمة في منزل وكيل الخارجية أو وزير الخارجية .. انظري .. ها هو النيل يسير بحذائنا .. الفيضان دموع الأحزان .. وفاء حابي .. حابي راوي الظمأ ، باسم الملايين .. الذين ركعوا على ضفافك من أجل غوثك .. قلبك نور وحكمة .. المفقود .. نلتمس منك الرحمة .. دفقات .. أغوص في بئر .. جنى حلقك .. الشارع مفتوح .. الضمانات الأساسية للمتهم .. حمايته فلا يعذب .. حق المعتقل كحق المحبوس .. الاعتقال بلا ألم .. الحراسة حماية لا عذاب لمتهم .. في أضيق الحقوق يوضع .. تأمر بالإفراج عنه .. أرق .. مطرود في ظروف طارئة .. القطار بدأ يقلل من سرعته ..

– حمدا لله على سلامتك ..

– هه ! من .. ؟ ..

– أسوان .. نمت كثيرا ..

– أبدا .. كنت يقظا .. !

– الصحف والمجلات .. الأهرام .. المفتاح .. الأخبار ..

– أعطني المفتاح .. !

– هات .. خذ ..

مسيو نانا العجيب في صدر الجريدة .. ؟! .. زجاجتين من براندي في صحة نانا .. امتد على الخطوط .. لغة مشتركة .. كشفت الدراسات الجيولوجية التي قام بها خبراء المتاحف بالاشتراك مع الآنسة (بربارة) من جامعة هارفورد الأمريكية .. وكشف مندوب الجريدة .. بعد إجراء تحقيق واسع المدى .. مع الخبراء والعلماء وصاحب المشروع .. وكان من نتيجة البحث المهم والخطير .. ما يلي : أن وجود أيدي القدور الفخارية سليمة بكامل ألوانها وأشكالها .. يدل دلالة واضحة على أن المنطقة التي تم حفرها كانت مأهولة بالسكان ، ثم حدث أن غطى

البحر هذه المنطقة بفعل الهزات الأرضية فدفن الأدوات المنزلية .. ثم تقهقر البحر مرغما .. بفعل ارتفاع سطح الأرض مرة أخرى .. ويقدر الخبراء عمر هذه الآثار، بإرجاعها إلى القرن الأول .. وفي مكان جميل بأبي قير التقى مندوب المجلة باليوناني المثابر مسيو نانا .. في أعدادنا القادمة سوف ننشر كل ما دار في مؤتمر مسيو نانا .. الرجل الوحيد الذي ينوي إزاحة التراب عن وجه الإسكندر الذهبي !

السد العالي .. يستنبئوك أحق هو ؟ .. هو أنت ! أزهار البنفسج تلثم ماء النيل الجاري .. العنوان .. من يشير إليه .. شب على قدميه فوق رأس السد السودان .. ذكرى الدار التي جمعتنا يوما .. غفران بالأعناق صفقوا هللوا .. علقوا الصور .. الصور بابتسامة النيل . حب مصر ذكرى . باع أمه في السوق .. باعها بمليون جنيه ترن .. ترن .. ترن .. من يقول أكثر من ذلك ..

– طلبتني يا سيدي .. !؟!

– سأغادر الفندق الليلة عائدا إلى الأقصر .. أحضر كشف الحساب ..

– يا للأسف .. !

– ربما أعود ..

الشوك يتنفس بدون جهاز تكييف .. الساعة الثامنة صباحا ، الاثنين .. هنا القاهرة .. أيها السادة .. ننتقل بكم الآن على الموجة المتوسطة . طولها مائة مليون واثنان وخمسون مترا .. لنقدم لكم .. الصورة الصوتية لأكبر حفل تشهده البلاد لعروض الأزياء .. من داخل قاعة الاحتفالات .. في هذه اللحظة .. ظهرت كل الأزياء مرة واحدة .. بهرت العيون واشتد التصفيق والهتاف .. ها هي فصوص الثلج الأبيض تزدان بها عارضات الأزياء .. والمقاعد وأرض الصالة .. اتحاد نقابة المصلين بعث إلينا ببرقية تأييد .. آه .. آه .. آه .. قطرة ضد الحساسية .. بيان التركيب كبريتات الزنك ونترات النفازولين ، تستعمل من الخارج .. زجاجة معقمة .. من نقطة إلى نقطتين في كل عين .. ناهد .. احترسي .. إحدى يديك في قفاز . رماها رجل مجهول في البحر .. حطام أشياء فرعونية

تصرخ .. لا تقترب .. أبوك .. معطر الوجوه بالبصاق .. فوق رأس مصر العليا .. أبصق من هنا اليك .. اخلع نعليك .. تعلم المشي من جديد .. لا بأس من تعليم الكبار .. ضمادات ضد كلامك السافل .. انطفأت عدسة القلب .. زاحمتها الأفكار .. ضاع كل شيء طفولي عن الدين .. أعيدوا جغرافية العالم منذ آدم .. اسألوا كل واحد أين وطنك الأول الحقيقي .. رحم أمك .. أمك .. أمك ..

– انظر معي من النافذة ..

– رائع يا سيدي .. !

– لكن .. لماذا يسير النيل نحو الشمال دائما ..؟!

– الله أعلم يا سيدي ..

– أنت غبي .. اخرج فورا .. وأحضر كشف الحساب ..

عصام .. رموك في أسوان لعبادة الدفء .. نسيت يا ترى . ؟ وصلتني رسالتك فأيقظت بها عروس البحر .. كدت أيأس .. أحترق .. أشواقي إليك .. درت على الشواطئ أسأل عنك كأنك لم تولد .. أحلام مزعجة .. صدقني .. ذات ليلة قبضوا علينا معا .. كلانا في زنزانة قذرة .. بلاطها مثلج .. الهواء قديم .. قوافل البق والقمل على الحوائط تزحف نحو الصحراء .. الفئران السوداء .. صاحبة العيون البارزة .. الفئران .. تذكر .. أكلوا أذني اليسرى ، لا أغطية ، لاطعام ، لا شراب ، نزف أنفي دما ، ضربوك فنمت من الإغماء .. نزعوا أظفارنا والشعر الحرير .. عارية على مقعد كهربي ..

منذ سافرت وأنا قابعة على أمل .. لا حركة هنا إلا بعد عودتك .. تصورت أنهم يعذبوني لأموت .. أحبك .. أعبدك .. تحت قدميك .. عندك جبل شاهق .. أهتف بقوة .. دعونا نفعل ما نريد .. الأم والشقيقة .. مصيبتان ولا أنيس .. المدينة ساخطة لأنك غبت .. منذ صباح الاثنين المشئوم .. أين حرارة يدك .. أنا ميتة .. انفخ في الروح .. قصصت أمس أجنحة النسر الذي في القفص ، كان بلها مغفلا .. جميع الجبال خرجت من هذا الجبل .. التناسل صورة كبيرة .. كباش خرافية على طريق المعبد إلى الكرنك .. القطار بدأ رحلته .. اغتاظ منه لأنه

أغفل المقصود ولم يجد أنثى واحدة في العربات .. !

وادي الملوك محاط بهالة من الرمال الصامتة .. وادي الملكات يئن يا ناهد .. حرمان بالاشتهاء رهيب ، يعانقن رؤوس الجبال .. البساطة .. الانطلاق .. صحراء مفتوحة .. أفكاري تقاومني .. غارق في دموعه .. صفحة سوداء .. الطاعنون في السن ماتوا .. مشوار طويل .. طويل .. ممل .. آه .. آه .. ها هو يصل .. أحبسه في المنتدى .. على صدرك ، حريته معه .. يرتعش من الخوف .. مشوار جاء بلا موعد .. رحلات ألف ثعبان في جبال الله .. لو قال : أنا عائد .. فماذا أعدت الإسكندرية لاستقباله .. مصيبة نائمة .. إحساس أخير يتوعده !

الإسكندرية ، هذه مقبرته ، أين هو بين قواقع البحر .. وساقي لالا .. ؟! رفعه على كتفيه وطاف به الشوارع اليونانية .. مات أبي .. ها هو الآن حي .. هدف منذ الصبا .. أبوك محارب قديم وفنان حساس .. ناقشه ليفهم ..

– أنت معتوه .. لا تفكر إلا في التيه ..

– نتفاهم يا أبي .. أليس الإسكندر أبانا جميعا ..؟!

– وهل قال اليوناني الكريم : ابحثوا عني واقلقوا راحتي ..؟!

– المستقبل ..!

– على قبر ميت ؟!

– كان الإسكندر حرا .. !

– عنادك سوف تذكره .. أنت حر .. !

لالا رقصت وغرقت في جسدها .. المصريين عبدتهم .. عندهم طاقة هائلة..

– مسيو نانا .. التليفون ..

– من ؟!

– مكالمة من الأقصر .. !

لا تغيير يذكر في درجة الحرارة . الرياح أغلبها يونانية مصرية معتدلة .. تظهر بعض السحب المرتفعة .. طول المقبرة ثلاثون مترا .. ما بين السماء والأرض يكون العرض .. أدوات للزينة .. عقد من حبات الماس .. حبيبة يونانية ..

أحشاؤه مدهونة بالإخلاص .. التجربة مرة .. مرة .. احترس يا نانا .. احترس مرة أخرى .. مرزوق .. قلق في مواجهة العيون المسطحة .. الوتر الهابط لا يناسب ظروف مغامر .. لالا بنت من اليونان الحديثة .. اذبحوها ، اذبحوها في مقبرة لائقة .. الرحيل مؤكد .. مؤكد .. مرصع بتاج نظيف .. هناك فكرة التضحية بالغرباء عن المدينة .. قال شحاذ .. آه .. آه .. آه ..

المنظر : شريط ساحلي ممتد ، الإسكندر الأكبر ومعه مساعده بطليموس يقفان قرب صخرة ذات نتوءات لفظها البحر على الرمال .. الإسكندر في ثياب مزركشة .. وعلى رأسه ريشة طائر .. مساعده يعلق على ظهره سهاما ونبلا .. الشمس في نهار صيف حار .. الموج يلثم قدمي الإسكندر ..

الإسكندر : (بفرح) ها نحن في جو ملائم ..

بطليموس : بالتأكيد .. !

الإسكندر : وقد ظللت لزمن طويل أرغب في العثور على مثل هذا الجو ..

بطليموس : فاهم .. !

الإسكندر : أصدر أمري .. لتقم هنا مدينة تحمل اسمي ..

بطليموس : مدينة الإسكندرية .. ؟!

الإسكندر : نعم ! .. انظر إلى قلبي يا بطليموس .. معظم السكان في هذا البلد يتطلعون إلى في حب ..

بطليموس : لكنهم يصرخون مرارا وتكرارا .. وهم يصطادون السمك ..

الإسكندر : كانوا يغنون يا غبي .. !

بطليموس : أنت إذن تحب مسيو نانا ..

الإسكندر : نانا ؟! .. من يكون .. ؟!

بطليموس : الذي يبحث عنك بجد ونشاط ..

الإسكندر : كل الناس يبحلقون في .. كأني إله ..

بطليموس : (يضحك) ليس من هؤلاء .. !

الإسكندر : (باهتمام) لماذا لا تعرفني به ؟!

بطليموس : من الصعب أن يحدث ذلك ..

الإسكندر : (يشد على ذراعه) كلامك داعر ..اشرح ..

بطليموس : (ممتنا) كل ما في الأمر .. أنه أقام الدنيا وأقعدها من أجلك .. وسوف يواصل عمله .. حتى لا ينساك الناس ..

الإسكندر : هذا غش .. زيف ..

بطليموس : ليس زيفا ولا غشا .. إنما بعض الجميل ..

الإسكندر : حل عني يا بطليموس ..

بطليموس : إحساسك الآن يا سيدي .. على شكل قارب شراعي في مهب الريح

الإسكندر : طيب .. أنت فيلسوف ..

بطليموس : لن أفتح فمي .. !

الإسكندر : (يتجول حول الصخرة ثم يصعد فوقها ويجلس) نانا .. الذي يبحث عنك .. الذي يقيم الدنيا ويقعدها .. هذه أحلامك أنت يا مخرف .. !

الإسكندر : (باعجاب) الرقص شرقي .. !

بطليموس : والجسد يوناني .. !

لالا : من أجل سيدي .. ! (تظل ترقص وتدور حول الصخرة .. تمد يدها بين الحين والحين لتلمس الإسكندر ..)

الإسكندر : (باعجاب زائد) إذا كان ما أراه صحيحا .. فأنت لا تحلم يا بطليموس .. ولست مخرفا .. !

لالا : (تحدث بطليموس) ما يكون لصالح سيدي .. يكون لصالحي .. (تشير إلى الإسكندر) ..

الإسكندر : الفن معبود .. !

بطليموس : صحيح .. !!

لالا : ها هو الصعود .. !

الإسكندر : (يصفر بيده فرحا) لا أفهم .. أأنت شيطانة .. ؟!

لالا : الصعود .. الصعود .. !

بطليموس : اعرف .. لكن .. ما كل هذا التسرع ..

لالا: أبي ينتظركما .. !

بطليموس : (في رأسي) ينتظر .. ؟!

لالا : في شوق يا سيدي .. !

الإسكندر : سأوصلك إلى البيت ..

بطليموس : تغيرت يا سيدي .. !

الإسكندر : هذه صدقة على المحتاجين ..

لالا : (تضحك بنبرة عالية) جمعية خيرية ..

بطليموس : الشعب قال كلمته .. !

لا تجعلني أرد عليك ..

الإسكندر : بالأمر .. أجب .. !

بطليموس : كنت مستيقظا .. ورأيت لالا معه .. راقصة من الدرجة الأولى .. علمها المصريون قوة التحمل ..

الإسكندر : راقصة .. ؟! (بدهشة زائدة) ماذا قلت .. ؟!

بطليموس : أستطيع ونحن في مكاننا ، أن أنادي عليها الآن .. لن تتأخر .. من المنتدى إلى هنا بضع خطوات ..

الإسكندر : (يصفر بيده) لماذا لا تتصل بأحد ليمسح مخاوفك ؟!

بطليموس : سترى يا سيدي .. !

الإسكندر : (يضحك فرحا) طيب !

بطليموس : (يجعل من كف يمناه بوقا .. وينادي بصوت مرتفع) لالا .. لالا .. تعالي .. (يسمعان معا صوتا يجيب النداء .. تقبل لالا .. في ملابس الرقص الزرقاء الشفافة .. تعزف بالصاجات بين أصابعها .. وترقص حول الصخرة التي يجلس عليها الإسكندر) ..

لالا : نعم يا سيدي !

بطليموس : دون سيطرة يا لالا .

لالا : أعطوني الحرية .

بطليموس : لك .. نعم لك !!

(لالا تخفف من ملابسها وتصبغ بالمايوه البكيني أكثر فتنة وإغراء)

لالا : الحرية نشيد .. !

لالا : (بجدية) نعم قلت .. أجل حدث ..

الإسكندر : (يتحرك بعصبية) فاهم !

بطليموس : (بضيق وخوف وهو يقترب من الإسكندر) تطهر يا مولاي .. !

الإسكندر : جزء من الموضوع ..

لالا : الماضي جزء منك ..

بطليموس : (يرفع يده في وجه لالا) لا تكرري .. لا تكرري ما قلت .. !

لالا : شيء آخر ..

الإسكندر : (يطرق رأسه آسفا ويتحدث بنبرة حزينة) أرجوك ..

لالا : ستوصلني إلى المنزل .. ؟!

بطليموس : سيرون ما أرى .. ما أرى ..

لالا : أبي .. يعد لكما استقبالا لم يسبق له مثيل في الشرق ..

الإسكندر : (إلى مساعده) ماذا ترى .. ؟!

بطليموس : الخجل مر .. !

الإسكندر : لنفسك .. أم لي .. ؟

بطليموس : صدقني .. سيضحكون علينا .. يوجد أناس كثيرون ..

لالا : التليفزيون والسينما والإذاعة والصحافة حدث عالمي خطير .. !

بطليموس : غرباء .. غرباء .. نحن غريبان ..

الإسكندر : ما قلته يا بطليموس .. (ينزل من فوق الصخرة إلى الأرض .. تتوقف لالا عن الرقص) أعاد لي إحساساتي المفقودة .. حقا سيضحكون .. !

لالا : ماذا .. ؟ أأنت حزين يا سيدي .. ؟!

الإسكندر : موافق .. !

بطليموس : (يخاطب لالا) لو أن سيدتي الكبيرة .. أمه .. علمت .. لأسرعت وقتلتك ..

الإسكندر : أمي تحبني وتكره أعدائي .. احملني إليها يا بطليموس ..

لالا : أنا معك ..

بطليموس : للأسف .. لا تحب الفتيات الداعرات ..

الإسكندر : (يضحك فجأة) تأبطي ذراعه على أنك زوجته ..

لالا : فكرة ! (تريد أن تقترب من بطليموس فيبتعد)

بطليموس : هذه مشقة لا تقاوم يا سيدي .. !

لالا : (برقة) سأجعلك نشيطا .. علمني المصريون أشياء رائعة .. !

الإسكندر : ليكن يا بطليموس ..

بطليموس : سامحني يا سيدي .. لأني أرفض ..

لالا : ترفض ؟ .. أنا ؟ ..

بطليموس : (بضيق) لا بأس من الندم .. (يدور حول نفسه) ..

لالا : اسمع كلامي ..

بطليموس : أرجوك .. لا تقلقي راحتنا ..

لالا : (في استعطاف) شايف يا سنيدي .. يرفضني ..

الإسكندر: فكر يا بطليموس (يهمس في اذن بطليموس) رائعة نشترك معا..

بطليموس : (صائحا) فات الأوان ..

لالا : عندي علاج جميع الأمراض ..

بطليموس : (في حالة نفسية متأزمة) خانتني السابقة .. دعوني أنسى .

الإسكندر : مسكين !

بطليموس : (الدموع على صدغيه) لم تعطني أبدا حبا بحب . باعت شرفها باعتني معها في السوق .

لالا : (بحزن) سأعوضك يا بطليموس . سأعوضك خيرا .

بطليموس : (ينطح الصخرة فينزف دما من رأسه) ماذا تريدين أكثر من

الإسكندر : (بأسف) لا بكاء .. لا بكاء ..

بطليموس : قلت الحق !

لالا : (تصرخ لرؤيتها الدم لأول مرة .. تجري مذعورة) آه .. آه ..

الإسكندر : (يربت على ذراع مساعده) انتبه .. تعال نعالج جروحك .. هيا . لم يعد هناك شيء ذو قيمة .. فقط أصدر أمري .. وأطلق اسمي على هذه المدينة .. لن ننسى أبدا هذه الحادثة ..

الإسكندر : (يضم مساعده إلى صدره) هيا .. هيا بنا ..

بطليموس : (متأثرا بجراحه) لأول مرة .. للمرة الأولى يحدث ذلك ..

بطليموس : هيا يا سيدي .. !

الإسكندر : هذا هو المهم .. علينا أن نعود إلى أمي داخل المدينة .

بطليموس : تأخرنا كثيرا .. !

الإسكندر : سنعود بسرعة .. !

هبطنا إلى شارع الطابية . حملوا الأثاث وعزلوا إلى مكان آخر .. علامات أخرى تدخل إلى الخريطة .. انحنى الطريق الذي يتبعانه .. قلامة أظفاره ، سجائره التي يعشقها .. خصلة من شعره .. عند ذلك يوجد غالبية الناس .. علاقة مزدوجة قام بها إنسان واحد .. سائد بين العصور .. حلم الصعود والسقوط في الحياة .. دلالته ، كن شجاعا .. كن ابن اليونان الحديثة .. تجلد .. لا تهمس في الودع باستطلاع بختك .. بلاط الملوك طوال العصور .. مرهون بالغزو على رمل وودع .. جلاء بصري .. لالا معك .. عصام معك .. !!

**رشف مرتين دون حذر .. ولامبالاة ** ..

طار فوق المدينة . كلماتها واضحة أو مبتورة . تحته أرجل المجلات والكتب .. كبرت الفئران في ضيافة قصيدة أخرى .. تاج العرش .. القصيدة رقم مائتين .. مصر بدأت بعدها عصر انحطاط جسدي .. ماجدة معها أختام الأسرار .. فرضت عليه الوصاية ، أنت أستاذي .. شاعر .. عجوز .. أوراقك صفراء .. على رؤوس الأشهاد .. أيها الناس : إن الطريق محدود مثل الشعرة .. ستمرون عليه

واحدا إثر الآخر .. يا خراب من تنقطع دونه الشعرة .. أو تنزلق قدمه .. لست عليهم بمسيطر .. أنت نذير .. كان يوم جمعة .. مكبر الصوت في الجامع نقل أخبارك الجوانية بالتفصيل ، منحته لقب شاعر من نداء عابر فاستحق الوصاية على العرش .. رفعته الأيدي على رمح مكتوب . من أجلكم يهون العذاب . رموا عليه الشوك ، اختفى ، قالت : دخلت حجرته وحضنته بالصبر. الصدر عار مع الساقين ، أغمض عينيه وصعد في الطائرة رجال يجرون حقائبهم وراءهم .. أنتم الذين لا تعطوني مما أعطاكم الله ، رؤساء التحرير .. ليس في الطائرة وقود ولا مضيفة .. من أعطاكم التذاكر بدون خاتم النسر .. يا رجال الشرطة .. دقيقة من فضلكم لأرتدي ملابس الحداد أين أنت ؟!

من فوق أعلى طابق في العمارة .. ليس بيني وبينك حجاب لكن ، نحن نحبك .. مالك لا تجيب .. أنت خلقتها وجعلتها مريضة .. صيرتها أما كئيبة .. سكان العمارة خافوا من شقتنا .. هه .. عم سلطان بدأ بناته الخمس ينقرضن بالموت .. لا تتمنى الموت لأحد .. شربت الشاي وجلست تصرخ .. الزواج .. الزواج .. انفجرت في صدرها .. أبوها الله يلعنه ذهب على جسد منتن .. اعبديني .. عم سلطان شهد الفصل الأخير من براءة الطلاق .. أمها محرومة مثلها لكن .. هه .. سنوات طويلة .. سن اليأس أرهق فيها الكيان المنقوش .. ذمة المرأة خليط .. خبرها يا إله السموات .. كلما أضاء لهم مشوا فيه .. ألقوا مساكنكم التي تعيشون بداخلها ، ليطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة بدون ذهب ولا فضة .. المآذن سوف تقودكم إلى نصف الليل .. نحو نصف الليل .. ويخرج النور من السماء إلى الأرض في ليلة خير من ألف شهر .. ادعوني استجب .. سوف تحمل إليكم الوجوه عند الصباح أمانيكم .. ستملأ البنات بيوت الأسكندرية زغاريد ..!

عصام يبني عمارة باسم ناهد علي شاطئ البحر .. ترتفع فوق أرض الإسكندرية في عشرين طابقا .. شيء ثقيل .. ثقيل أيضا

**بدأ الشاى يبرد في يده .. فأحس لأول مرة .. أن طعم الشاى قد تغير قليلا ... **

مجلة حواء .. صفحة هواة المراسلة ماجدة سمك ، هوايتها المراسلة والموسيقى وجمع الصور .. طالبة بمدرسة أبي قير الإعدادية للبنات والبنين . ترغب في مراسلة الجنسين . العنوان : شارع معروف . العمارة الجديدة الطابق الثامن . ملاحظة . رجاء من الإخوة والأخوات هواة المراسلة . كتابة عناوينهم بخط واضح.

– ما رأيك في الخبر ؟

– تفاهة .. ففي استطاعتي أن أعطيكي الآن عنوان ثلاثين فتاة ..

– كلهن قريباتنا .. وأنا أكرههن جميعا ..

– ومن غير قريباتنا ..!

– كلا .. سوف أنتظر حظي .

– أنت تبحثين عن زوج مثل الأخريات ..

– أنت مجنون .. اخرس .. !

– سوف تصل بك الحالة .. مثل إيمان بنت الست خيرية .. في الطابق الرابع.!

– أنت مجنون .. اسكت .. اسكت .. اخرج ..اخرج ..

– ياقوت ليس مجنونا .. ولكنه خبير .. أرفوار ..!

مبادئ .. مبادئ .. التفاؤل مطلق .. وراثة أخوية .. صديق آخر يعلم .. رجلا بلا ملامح في طول عصام .. قصص الحب .. ذو شعر ساقط على عينيه .. يغني لها باللغات العالمية .. افترش الأرض .. والتحف السماء .. هكذا نكون أحرارا .. محام .. ضابط .. طبيب .. مزاج منسجم ليحكي قصص الحب .. عربة وثلاجة وخادم وخزانة عامرة .. يفكر ، يحلم ، ينادي ، يقرأ ، يتعلم ، يصلي، يصوم .. كله ماجدة .. مائدة الطعام جاهزة ، الذباب ممنوع .. مات تحت سقفها بفعل السم المنتشر في الجو . الستائر الثقيلة تجرجر الذباب المصروع في الموقعة .. يمينا ويسارا .. ساعة الحائط تدق .. بندولها الصدئ لا يحمل ذكريات أي

شيء .. فقد اتصاله بالزمن الموجود داخل الشقة ، نسى مصالحه .. ضرورة توسيع نطاق الدقات ، لم يظهر أية عاطفة تجاه العيون المتوترة وهي تدور في الجسد فينمو الصدر بعلامتي الاستفهام ، رخوتين . حرارة العصر . محام يعلم الجدل للحرية .. ماجدة سمك .. توجوها ملكة على هواة المراسلة .. طوابع البريد .. في عمر الورد والصبا والحب .. يا بنات الإسكندرية صفقوا لأجمل بنت خرجت من بينكن لها لسان مرمى يجلس عليه الأسد .. مجلة حواء .. المرشحة الوحيدة .. من أسرة عريقة .. في جوف الرئة الثانية .. طفولتها العارية في برواز معلق بجانب آية من القرآن الكريم .. جاهلة لا تعرف شيئا .. المهمة هي تعليق الصور على المسامير .. ياقوت لا وقت عنده .. ماجدة كسولة .. التثاؤب بندول النوم ... !

– إلى أين يا ماجدة .. ؟!

– سأنام ..

– أين ذهب ياقوت .. ؟!

– لديه مذاكرة ومواعيد كثيرة ..

– البرد شديد .. أنا خائفة على صحته ..

– آه لو تعلمين يا أمي .. دفء لا نظير له .. دفء لا يبرد أبدا .. !

الآنسة ماجدة سمك .. تحية حب وأمل .. قرأت إعلانك المنشور في حواء .. تعلقت بصورتك بطريقة جنونية .. لن أتردد في مصارحتك بحرية بكل إحساساتي .. بالموسيقى وجمع الصور والمراسلة .. وجدتني منساقاً الي حبك في طواعية شديدة .. خطر كبير .. لأني أجهل جمالك ورشاقتك .. أنت حبي رقم مائة .. حب طارئ عنيف .. أخاف أن يخيب مثل جميع الأرقام السابقة .. أذنت للعربات ان ترفع أصواتها أن تمر دون مخالفة .. من أجلك فعلت ذلك .. طوال اليوم وأنا تحت الشمس .. خبريني .. كل شيء عن طولك .. فوق رأسي خوذة بيضاء فلين .. اللون الأخضر باهت لعدم عنايتي .. لكي أكسب قوت يومي .. شرطي مرور يحب فتاة جميلة ذكية .. ذكية أنت .. أليس كذلك ؟! ارسلي لي بعض صورك الخاصة .. مع صديقاتك ، مع الطبيعة .. مع نفسك .. أنظم حركة

المرور بصعوبة بالغة .. وعندما تمر عربة سياسية كبيرة يرتبك عملي وأصبح محتاجا إلى منظم آخر .. نوادري في هذا المركز سوف تعجبك كثيرا .. أنا ربع قرن وانفق على أبى المريض .. طال عمره .. نفقاته فوق رأسي تناشدني الصبر .. أحبك يا ماجدة .. لا تتركيني نهب العجلات وابعثي لي الإذن بمقابلتك عندنا في شقتي بفلمنج .. كم مقاس جسمك .. ؟ ووزنك ؟ وأشهى أكلاتك .. وطول حذائك .. وهل تعلمت الآلة الكاتبة .. ؟ فيها نبضات حركة كثيرة ، لتبيعي تذاكر السينما .. اتركي المدارس .. ما جدوى إرهاق الأعصاب ، عمرك ليس رخيصا إلى هذا الحد .. ذات يوم انكسرت إحدى عجلات عربة كارو محملة بالسردين .. وقعت العلب وسط الميدان .. وانفتحت جميعها . في ثوان معدودة امتلأ المكان بالصبية الجائعين .. راحوا يملأون جيوبهم وبعض الأطباق الفارغة .. طلبت النجدة .. نزل العساكر بعصيهم .. واشتروا خبزا وراحوا يأكلون ما تبقى .. صرخ الحوذي المسكين .. عندئذ . أنا الوحيد الذي غير اتجاه كل العربات المعطلة .. هل تنامين وتحلمين بأشياء غير موجودة يا ماجدة .. ؟! عندما غيرت اتجاه رأسي على السرير .. قال أبى : هذا رقاد الموتى .. لم أصدقه .. لأنه عجوز قديم .. يخرف ويسب .. طول جسدي مائة وخمسة وتسعين سنتيمتراً .. أعطني كراسة غرامك لأقرأ .. هل سيضربك أبوك كثيرا من أجل الشبان .. ؟ دليل قوة الإرادة يحدث معي كثيرا .. عبء عجوز لا أفهم كيف أعامله .. أما نشاطي الخارجي .. فقد تعلمت ثلاث رقصات والموسيقى .. لا تحتقري مهنتي وفشلي في التعليم .. خلقت نفسي بحريتي ، هذا أفضل ، الاسم سامح عبيد .. إلى اللقاء ..

– ماجدة .. خذي هذا المظروف من شاب منافق ..

– قرأتها . ؟ فتحتها .. ؟!

– يا ياقوت ليس غريبا .. !

– هذا تلصص .. سرقه .. أخباري سر يا وقح .. ألم نتفق على أن يترك كل منا الآخر لحريته .. أنت منافق .. انت كذاب .. كذاب .. كلب ..

– ... ؟؟ ..

– أتصفعني ؟!

– ياقوت وجده .. .. حر .. !

– أنت مجنون .. طائش .. غبي .. غبي .. مجنون ..

مجلة حواء .. نامي على جانبك في حالة استرخاء تام ، واثني الركبة الأمامية فوق وسادة صغيرة ، اتركي للساق الأخرى حرية الحركة .. الحب .. الحب فقط .. أثناء العمل أو القراءة حاولي أن تكون جلستك على كرسي مريح يضمن أن يظل ظهرك منتصبا طوال الوقت .. قطف الزهور قبل النضج .. ياقوت اعتنق الأفيون بداية .. حاولي النزول بجسمك بحيث يلامس ظهرك الحائط .. سامح عبيد الحب المستعجل .. زيارة في شقة فلمنج .. اجلسي على الأرض ورأسك ويداك إلى الإمام في حالة استرخاء .. كمن يندب حظه .. كمن يصلي .. مثل ميت ..

– هيا نتناول طعام الفطور ..

– أنت ياقوت .. كيف نهضت في هذا الوقت المبكر ..

– هناك لحظات .. حرجة ..

– مجلة حواء .. أقلقتني .. !

– قررت الاستمرار في علاقتي مع (ب)

– خدعتك باروكة الشعر الطويل .. ساذج ..

– أنت التى أفسدت حبي القديم .. إياك أن تفعلي .. الحب سلاح المواطن الصالح .. متى يتجانس العالم ..

– أما علاقتي مع سامح .. رسائل بريئة ..

– اقفزي بعلاقتك ..

– إلى أي حد ؟!

– دعيني أذهب لتحرير نفسي من الحرمان !

من فوق الحبات السود تنزلق الكلمات الرطبة .. سبحان الله والحمد لله .. قسمتك يا سلطان .. مكتوب عليك مشاهدة الخريف .. بنت وراء بنت .. أول ميت

في العمارة عند عم سلطان .. لا تنادوا عليه .. مصاب .. سبحان الله والحمد لله .. بدأ يقيم أسس المجتمع فوق مسبحته .. الندم .. الندم .. ساعة العرش .. اقترب .. دموعك .. مات ثلاثة في لحظة: ومرضت الأخريات .. محروسة باقية ، عند المئذنة يعود .. سبحان إلله والحمد لله .. نصيبك مر .. اقترب طفل ..

– يا عم سلطان .. البركة فيك .. ماما تقول لك ذلك ..

– بارك الله فيكم يا شاطر .. اشكر لي الست والدتك ..

– هاها .. ماما لم تقل شيئا .. ضحكت عليك .. !

هان عند الأطفال .. دموعه دموعه ..

– يا عم سلطان .. !

– نعم .. !

– مالك تجلس ساهماً .. هل قنعت بالحزن وكفى .. اذهب لقضاء حاجات أولادنا.

– سأذهب .. !

في الجسد مضغه فسدت .. نسوا الموت .. عندما ذكرهم فزعوا .. جاء من حيث لا تدرون .. عرف العمارة .. غرس فيها بذرة جديدة .. سوف يدخل كل بيوتكم بدون رقابة .. لا .. لا .. لن أتحرك .. حزين منكوب .. سبحان الله والحمد لله إلى الابد .. اكتبوا شكاوى إلى رئيس الجمهورية .. انشروا دعاية سيئة .. إجازة .. انت حر يا سلطان .. اذهبوا إلى صاحب العمارة .. عصام .. أين أنت ؟ .. عد إلى عمارتك .. لأن أحدا لا يرحم .. ليس عليه هداهم .. محروسة في انتظارك .. خدماتك مثل العسل .. سيقان نسائهم وبناتهم عليها مئات البصمات..

– أرسلت إليك مرتين فلم تحضر .. ما معنى هذا يا عم سلطان ؟!

– سأحضر يا سيدتي ..

– لا تحدثني وأنت جالس .. منذ متى بلغت بك هذه الحالة المؤسفة ..

– قلت .. سأحضر ..

– قم وكلمني .. !

– لا قيام إلا لله .. !

– هذا جنون .. سوء معاملة .. سوف أتصل فورا بصاحب العمارة لينظر في أمرك .. !

اذهبوا فأنتم الطلقاء .. في كل مكان .. عم سلطان سيىء المعاملة .. ليس عنده زوجة عارية حتى يخشى عارهم .. ليس عنده كأس من فضة واردة من الخارج .. مصلاة حصير وراديو بصوت مبحوح .. امرأة منكوبة تملأ القدور بالدموع .. الأرض بلاط مثلج .. الأثواب مبللة تجففها حلوقنا .. باطن العمارة .. تحتها .. استواء الحياة واستواء الموت .. مقبرة دون شاهد .. زوجة السمكري ولدت عندنا لأنها لم تجد سريرا تلد عليه .. القبقاب هو رنة الموسيقى اليتيمة تحت العمارة .. عراك البنات على دورة مياه واحدة .. قبل أن تهرب المياه من المواسير .. على مائدة الطعام .. على القماش عند توزيع الكسوة السنوية .. تفرجوا ..

– صباح الخير يا عم سلطان ..

– صباح الخير يا بني ..

– البوستة دسمة اليوم ..

– اصعد وزعها في الصناديق ..

– وأنت ..!

– الصعود لغير الله باطل ..

– هاها .. مالك حزين .. إذا كانوا قد خصموا من راتبك شيئا فاطمئن .. الحال من بعضه .. هه .. كم يوما خصموها ؟!

– الثرثرة للدنيا عبث .. !

– هاها .. أوه .. أصابتك تجليات الفقر الملعونة ..

– حب الله .. راحة .. !

– سأصعد والأمر لله ..

– انتظر .. !

– نعم .. !

– هل معك شيء للأستاذ عصام الترجمان .. ؟

– رسالة واحدة ..

– أعطنيها .. ليس عندي أحب منه ..

– وبقية الرسائل .. ألا تخلصني منها .. ؟!

– ألقها في أية بالوعة .. !

عصام .. إليك تتجه كل العيون .. من مكة واليونان والإسكندرية ، مضمون السكر حلو وأنت عصيره .. خطابه في القلب .. أغلق عليهم باب العمارة بالقفل والطوب والرمل .. أغلق عليهم الباب .. دمر حياتهم .. لا شفاعة عنده .. حلم طويل .. عم سلطان نقص رزقه إلى النصف .. لا خلاص ..

– يا شيخ بلتاجي .. افعل ما قلت ..

– أتعادي كل سكان العمارة ..

– كلهم أعدائي .. !

– كيف تغلق عليهم الباب .. كيف يمكن .. ؟!

– هل سيحطمونه ... ؟!

– كلا .. ولكنهم سيعملون على إيجاد فتحة خلفية للتنفس ..

– أنت ساحر .. وهذا تفكيرك ..

– دعني أتصرف ..!

– معك الله .. لكن قل لي ماذا ستفعل .. ؟!

– الصبر مفتاح الفرج ..

– أعطني مشروعك ..

– سأسبب عقما عاما عند كل رجال العمارة .. مثل الخصاء .. !

– معك الله .. !!

ساروا حتى آخر دمعة ، مسحوا دموع العالم بالأنات ، تناسوا ، أن الشاعر يلعب بالفنجان ، يا رب ماذا فعلوا .. ناموا ، قاموا ، هزوا الأرض.. صرخوا .. الناس حيارى ، العملاق يواجه روحه ، في الأعماق تدور الرحلة ، الشاعر تائه

والموقف رهيب ، غطوه وذهبوا ، دفنوه ونسوا ، وقالوا كلاما .. ماذا قالوا ؟!

– ما رأيك يا رئيس التحرير .. ؟!

– ماذا تقصد ؟!

– القصيدة التي سمعتها ..

– لا تصلح للنشر عندنا .. !

صفعته مليون كف على عينيه .. الأسود لوحة ثابتة.. بقع دم ، بقع دم هوت من الطابق الثامن .. تلونت الأرض السوداء ..

– قلت لك لا تصلح للنشر عندنا ..

– التجربة ناقصة ؟

الكلمات ميتورة ، المعاني ناقصة .. المبتدأ منصوب على ذراع الجريح .. حروف الجر بطيئة ..

– أشكرك يا رئيس التحرير ..

– مع السلامة ..

وهم .. موتور .. مقطوع .. إصرار تافه على حب الشعر ، تنازل عن كل شيء .. انسى ربع قرن ونصف قضيتها في حب الشعر وأبدأ العمر الباقي . كراهية رئيس التحرير بسعر التكلفة .. خبير بشئون الأدب .. بطن إلى الإمام . سكرتيرة جميلة .. إبراهيم زنوبيا لا يصلح للنشر .. قدماك تعبتا من ثعابين الشوارع .. تجول ففي الإسكندرية بحر يغسل آلام يوسف واليكترا وإبراهيم زنوبيا .. تابع انتحار الشمس .. اطمئن ..

– يا أستاذ إبراهيم ..

– من ؟!

– مساء الخير ..

– مساء الخير .. أنت تنادي ؟!

– رأيتك خارجا من مكتب رئيس التحرير منذ ساعة .. !

– انتهت علاقتي بهذه المكاتب ..

– ماذا قال لك رئيس التحرير ؟!

– لا تذكرني من فضلك !

– لا تكتئب .. أنا شاعر مثلك ..

– وهل نشروا قصائدك ؟!

– طبعا .. كل أسبوع قصيدة .. ألم تسمع بشاعر الليالي السعيدة ..

– شاعر الليالي السعيدة .. هو أنت ؟!

– نعم ..

– حظك مشرق .. أما حظي فسيىء للغاية ..

– سأوجز لك الطريقة الصحيحة للنشر .. طريقتان .. المناصفة أفضل وهي عبارة عن اتفاق يتم بينك وبين رئيس التحرير .. يقوم هو بنشر قصائدك ، قصيدة باسمه وقصيدة باسمك .. هكذا على التوالي .. الطريقة الثانية .. هي أن تقسم الربح بينك وبينه بنسبة خمسين في المائة عن القصائد الخمس الأولى ثم تزيد أرباحه بنسبة سبعين في المائة .. عليك أن تختار ..

**رشف رشفة من الكوب بلا وعى ... **

– تاكسي .. تاكسي ..

– تفضل ..

– هيا .. !

– إلى أين .. ؟!

– إلى آخر الشارع .. !

وحدك هذه الليلة .. بهو الأعمدة .. بيئة يا أم .. ابنك تائه بإرادته .. أخوه مطيع دفن رقبته في الرمال حتى لا تراه الكوارث ..

– خذ لك سيجارة يا أسطى ..

– أشكرك .. الجو بارد ودافئ السجائر لا نظير لها ..

– منذ متى تعمل سائقا ..؟!

– منذ رمتنى أمى فى الشارع .. اضطرار .. كان أملي في الطب ..

– أمك السبب .. ؟!

– حكم على أبي بالسجن المؤبد منذ صغري .. وتزوجت .. مشاكل يا أستاذ .. ربنا يبعدك عنها ..

– أنسيت أمك ؟!

– أملي ؟!

– كنت تقول .. كان أملك في الطب ..

– كان زمان ..

– واليوم .. ؟!

– فات الأوان ..

– ولماذا لا تواصل .. ؟!

– أواصل ماذا .. ؟!

– توقفت هنا .. ؟!

– آخر الشارع ..

– تجول في الشوارع كما تريد .. نزهة حرة ..

– معك حق .. !

– أملك في الطب .. ؟!

– لم أعد أصلح .. تقدمت سني .. شغلت بالعمل والأولاد ..

– الشجاع هو الذي يواجه الظروف وينتصر ..

– تمام .. !!

– كن شجاعا .. !

– ذلك ممكن ؟!

– إذا ثبتت شجاعتك .. الطب عمل شريف .. مركز اجتماعي .. عمارات فاخرة .. عربة وخدم ..

– معك الحق .. سأفعل والله .. الطب شرف .. طبيب ممتاز .. أشكرك يا أستاذ .. جددت في روح الشباب ..

– أنت الآن شجاع .. !

في عينيه عاكس الرؤية الخلفية ؟ في لحظة .. سائق طيب .. بالطو ابيض .. أنامل رقيقة .. دق بإصبعه وسأله أين ناهد ؟! أين ماجدة ؟! جالسة في أنتظاره .. عمره ضاع في عجلة القيادة .. انتظروا .. ريثما أجرى الكشف على عم سلطان ..

– تصور يا أستاذ .. !

– ماذا ؟!

– سوف أخصص ثلاثة أيام كل أسبوع لعلاج الفقراء بالمجان ..

– يبدو أنك كريم ..

– ولن أرفع أجر العلاج .. سأعالج جميع الأمراض ..

وسائق عمومي .. ارتفع الدم والضغط .. دعه يفك جفونه .. مطارق الأحلام..

– حاسب .. طفل ..

– ربنا يستر ..

– كنت ستقتله ..

– ألم أقل لك يا أستاذ .. ثلاثة أيام لعلاج الفقراء .. ؟!

هه .. مزارع خضراء على امتداد الرؤى ..

هه .. صباح الخير يا حمير ، ولد ناجح زار لبنان وأمريكا ، لوحة تكعيبية عليها ناهد .. بيكاسو المجنون .. جمع صور الميناء الشرقي كله ، أقراص لتهدئة الأعصاب ، نوما طبيعيا .. طفح ناهد ، نباحات كلاب وادي النيل ليل نهار أفزعته، لا نوم .. النهر بلا صاحب .. جمعوا حشيشا للأرانب .. ذبحوا الطيور كلها .. سيغلق الباب في وجهك القمري ، غائب يا محروسة ، مريض هائج ، برترانكيل .. إثنا عشر قرصا ، يفيد في علاج القلق والتوتر العصبي وسرعة الهياج وتسكين الآلام .. قرصان يوميا .. ناهد والصحفي .. مائة وخمسون جراما حبيبات منشطة للكبد والمرارة .. ملعقة كبيرة في نصف كوب ماء دافئ .. ستة أقراص .. مضاد للتقلص .. يوميا .. انظر النشرة الداخلية .. لالا تسأل عنك

.. شركة النيل للادوية المرة .. بترخيص خاص .. ربوة عالية على جبال لبنان .. التفاح .. الهدوء .. تحول .. حبات عيونهم زرقاء صافية .. خذ معابد الكرنك على ظهرك وتفرج على الدنيا الواسعة .. أبى الهول والأهرام ..

– صباح الخير يا أستاذ عصام ..

– أين الزهور .. ؟!

– البنفسج والقرنفل .. حسب إرشادكم .

– أنت مجنون .. القرنفل أبيض فقط .. لا يوجد في لبنان بنفسج يا غبي .. اخرج يا غبي ..

يريد تشييع جنازتك ، نائم حي مفكر .. الصور سرقتها من درج مكتب ضابط الاتصال .. صورة عن مشروع بناء الحوض الجاف .. تجديد سفينة نوح .. طراد روسي وزورق صيد أتوماتيكي .. جهاز إليكتروني .. صندوق به عبوة متفجرات زمنية .. أجهزة حديثة لإقامة رادار جديد عند منطقة المكس .. ضغط على ذراع النافذة فتأوهت .. تأمل زهور اللوتس المرسومة على ملاءة السرير .. قفز مثل بهلوان .. الحرية فن .. التليفون في يده ..

– آلو .. من فضلك أعطني وزير الثقافة ..

– ماذا ؟!

– مسألة شخصية .. عصام الترجمان ..

– لا يعرفك .. !

– قل له .. بهذه الطريقة ستبقى ثقافتك ضحلة إلى الأبد ..

بأمر الطبيب .. أقراص مهدئة من وخز الرأس .. كل قرص يحتوي على صحتك .. مغص ومرارة .. خذ مزاجك ..

– آلو .. من فضلك أعطني وزير الصحة ..

– ماذا .. ؟!

– مسألة عامة .. ابن النيل عصام ..

– يريد الخلاصة .. في كلمة ..

- قل له اكتشاف جديد لا حياء للموتى .. انزعوا المرارة من صدور كل الناس .. جربوا ..

إنما تستجيب لالا لمشاعركم .. ليلة رأس السنة .. قطعة .. قطعة .. عارية تماما .. الصراخ للسماء .. لا ضمان للشبع .. بحث معها عن مقبرة الإسكندر فوق الفراش .. شربا حتى الثمالة .. شارع معروف .. العمارة الجديدة .. طابور طويل من الدكاكين لبيع الخبز .. طرد الذباب فن : مساكن اليونانيين رخيصة .. ارقصي يا لالا : في الرقص مد وجزر مناسبان .. أمك لا تدري على أى أرض سيولد لك أبناء ويدفنوك يبحثون عنك .. ملائم لليونان ..

- جريدة الأهرام يا أستاذ ..

- سأغادر فندقكم بعد أيام ..

- ألف خسارة يا سيدي ..

- كلامه فارغ .. هل تريد تأميمي عندكم يا حمار .. اخرج .. اخرج بسرعة .. منافقون .. ثرثارون .. كالحون جبناء ، لالا .. يدك فوق رأسي .. في مقدمة جمجمته برواز واضح .. أنت عمري .. مسيو نانا وزع الشربات على الفرقة الموسيقية ، ثقب في السماء .. لاعب كرة مشهور طعن زميله بسكين في صدره ، علم مندوب الأهرام الرياضي ، أن الوفاة حدثت ، التحقيق مستمر .. سوف يحال المتهم إلى الطب النفسي لتحليل شخصيته كما ينبغي .. ملعون من يشتري جريدة تكدر عليه صفو اليوم .. شارع ممدود بلا نهاية .. أشجار ذابلة .. يا أبى الذي طردتني .. ناهد باعت عمرها ، معا في نهر التدفقات اللزجة .. أسرف .. فتح النافذة .. تاكسي ينتظر زبونا .. بائع جوال .. امرأة في شكل القرنبيط .. شقيق امه مزارع .. وراء الجواميس يربي جسده .. الأهرام .. مجلة القصة .. المسرح .. الشعر .. الفكر المعاصر .. حواء .. ثرثرة مطابع .. فتاة أنيقة .. شعرها لالا ، قوامها ناهد ، عيونها محروسة ، رشاقة ماجدة .. لا بديل على الأرض ، أمك تعد حبات دموعها في صمت وخوف .. لم يبحث عنه أحد ، الولد العاق ، هجر أهله ، صدر منشور من الأب .

– أنت عصام .

– نعم !

القرنبيطة تهز ردفيها .. ما عساها يملأ حشو المحيط . مثلها أمك تجرجر ساقيها تصليح سلم البيت تبذير ، آه .. آه .. أبوه مشنوق على باب المرارة . لسانه على صدره .. كلب .. فتح الباب للزبون المنتظر .. بصعوبة .. أوه .. شخير الماتور دليل عطش بالغ .. وفد من الإسكندر للاعتذار .. قناديل أبى العباس وسيدي جابر .. كليوباترا ..

– الطبيب وصل يا سيدي .. !

– لابأس عليك .. ماذا عندك .. ؟!

– البؤس والحرية والإسكندرية ..

ضحك فهضم سمك موسى .. تجاعيد الصبر المصري ، أصلع .. في حجم عقلة الصباع .. الماتور شخر بإجهاد ..

– هل تشكو ألما ؟ .

– وأشياء أخرى ..

– ما هي .. ؟!

– سأقول عندما أريد ..

– ما اسمك أولا .

– لا شأن لك بخصوصياتي ..

الشعر كستنائي .. مطعم الإخلاص يفتح أبوابه ، رائحة الفول والفلافل تضج، قام سكان أبي قير ، شعر صدره مثل دبابيس نبات الصبار .. مشجب عصام مقطوع الذيل .. الشمس تسللت .. لسعت ساقيه العاريتين فاستغاث .. جذب ياقة جلبابه وأغمض عينيه ، تكور في ملاءة السرير وقلد شخير الماتور .. ! سيارة دبلوماسية .. تعرفت على الفندق ، وقفت بعيدا .. الرأي العام أعمى ..

– أين غرفة عصام الترجمان ..

– تفضل .. من سيادتكم .. ؟!

– قل له .. الأستاذ الصحفي ..

– مسكين .. !

– هل حدث شيء .. ؟!

– مريض .. يكاد يجن .. !

فندق الأقصر .. غاب كثيرا .. الأرقام على لوحة .. تحت كل رقم مفتاح .. واحد .. موجود .. اثنين غائب .. ثلاثة غائب .. الصبر مفتاح الفرج .. عجوز يرن التليفون ..

– بكل سرور يا أستاذ عصام ..

– تفضل يا أستاذ .. ينتظرك في حجرته ..

– أشكرك .. !

الهبوط بالعسل .. يشعل نارا .. الشبكة في حاجة إليه .. اختار فندقا ممتازا .. على مقربة من مساكن المهندسين .. لوح له بناهد والمليون جنيه ..

– مساء الخير يا أستاذ عصام ..

– أهملتني إلى هذا الحد .. !

الحجرة رأسا على عقب .. ذيل الفتى .. عيناه متورمتان .. شعره مهوش ..

– لم اعد أنام .. !

– لا تنام .. ؟!

– اخرج بسرعة .. أنا لا أريدك .. !

إعلان العصيان .. انتهى الشاب .

– أنا .. الصحفي ..

– كلهم يطاردونني .. اخرج .. لا أريدك ..

– لحظة يا عصام ..

– أنت قذر .. اخرج ..

– جنون .. ؟!

– عندي أفكار .. لا تعطلني .. اخرج سألقي بك من هنا ..

– لابأس .. انتهت مهمتك .. السبيل .. ؟ الطريق .. ؟ الحل .. ؟ ..

لم يعد للشاى طعم يذكر .. رفع الكوب لينهى عليه في جولة أخرى ..

العمال يقومون بالحفر .. طوق من الأخشاب يحوط مربع الأتربة ، كوم الدكة .. العمل بدأ صباحا ، اليوم الثاني للحفر .. تحددت هندسة المكان .. دون الموقع بالضبط .. الحظ .. الخظ ..

– يا سيدي .. هل تسمح بكلمة ..

– تفضل تكلم ..

– هل تعدني إذا عثرت على الإسكندر .. أن تهبني عشرة جنيهات مصرية ..

– ما اسمك .. ؟

– عشرة جنيهات عندما تعثر على الإسكندر ؟!

– سأهبك مائة .. ما إسمك ... ؟

– تذكر وجهي .. ذراع مقطوع .. بثور في مؤخرة الرأس .. ! هكذا أبدأ .. مهرجان مسيو نانا .. شريحة من جلد الماعز يلف بها رأسه .. بثور قفاه قرمزية .. تفاحة آدم تنزف .. شحاذ مسكين .. لاحظو مهندسو الآثار أنابيب الفخار التي عثروا عليها أمس باهتمام .. قال مهندس : هذه أنابيب يغلب عليها ان تكون من صنع الهكسوس لدفن الاطفال بعد إحراقهم ، قال مهندس آخر : صناعة الفخار لم تعرف في عهد الهكسوس إلا في فلسطين ..

– مسيو نانا .. مسيو نانا ..

– أنا معكم .. ماذا وجدتم ؟!

– هيكل ضخم .. أسلحة .. بلط حربية .. جعران .. أحزمة برونز .. أبشر .. أبشر ..

قفز نانا ، مائة ألف رأس إنسان ، أهدوه عيونهم في البئر المحفور .. عشرات الكاميرات تلتقط الصور (الهيكل ممشوق القامة يا نانا) ، (حظك ينتظرك) (يا جرسون المنتدى ستصبح مليونيرا) قال مهندس : الجعران عليه

كتاب ، فاحترسوا إزلة النقش ... خرجت الأوانى الفخارية ، الأمشاط العاجية .. هبط الليل .. عادوا في اليوم التالي .. غطوه وناموا عنده .. عاد النهار .. لا موضع لقدم .. في انتظار وصول الإسكندر ..

– خبرني يا أستاذ .. هل وجدوه .. ؟!

– مازلنا في انتظاره ..

– أنت .. متى تقابلنا ..؟!

– في السفارة الفرنسية ..

– القنصل العام ؟!

– نعم ! .. وأنت ؟!

– البرتغال .. !

– أهلا بك .. !

– ما رأيك في عودة الإسكندر اليوم ؟!

– فرصة .. لأن نستقبله معا .. !

انزلق رأس طفل بين السيقان المحتشدة .. صرخ .. صرخ .. صرخ ..

– الحقوني يا عالم .. !

– الولد مات .. !

هبط عساكر المرور .. رفعوا أول شهيد فوق الأكف .. جنازة .. صوات النساء يدوي .. الأطفال يصرخون مع المطارق .. وقفت لالا تقبل الميت بدموع أنت عمري ..

– الزحام سيقتل العشرات ..

– قلنا نطلب الجيش .. للتفريق ..

– لا قيمة للجيش أمام هذا الزحف ..

– ارفع السماعة واطلب وحدات إضافية من الصاعقة ..

– إياك أن تفعل .. ؟!

– لا شأن لك .. !

عرق سوس يطوف بين الأكتاف ، كليوباترا بفم فلتر تعرض فتنتها على أصحاب المزاج ، الولد الذي مات .. ذكرى الأربعين على لسانهم .. دخلت عربة التليفزيون .. اشرأبت العيون .. كل الناس في البئر .قبضوا على لص ، صاح رجل متزوج : دس يده في جيبي .. سرق مفتاح الشقة .. زوجتي نائمة .. حيوانات ضعيفة .. صفعوه .. نزف دما مثل تفاحة آدم .. دارت الكاميرا .. جروا خلفها ..

وقع الناس في البئر ..

قبضوا على نانا .. قتل العشرات في بئر .. جروه في موكب مهيب .. تاريخ الكفاح في قبضة الحديد .. صاحت لالا .. لك المجد يا أبي .. !

أمسك الملعقة .. وراح يدق بها على جدار الكوب .. فتحدث صوتا متقطعا..

دلف إلى طريق الحرية من شارع سعد زغلول .. كفأر تائه كان .. بين النائحات خلف جنازة .. لا مفر .. عربة ضخمة محملة بقطع غيار السيارات ، سرت بعين واحدة معها .. الثانية لي .. ملاكي القاهرة .. جيزة .. إسكندرية .. الاقصر .. الألوان باهتة .. باهتة .. يوجد قصر الثقافة على ناصية وثلاث أضلاع .. خلع عينه الثانية وجعل يدور على الفاترينات .. فيها كتب قيمة .. أحذية للسيدات .. لا يوجد ديوان شعر واحد .. إلى فوق .. ثقبت عينه السماء .. فوق أعلى بيت –زمارة حرب – في لون الرصاص .. مضى مسرعا .. رائحة شواء الفراخ من باب مطعم .. سينما ريو .. أسرع أكثر .. رفرفت الأعلام على قصر الثقافة .. سبورة سوداء عند الباب ، تقيم جماعة طوابع البريد ندوتها الأسبوعية في السابعة من مساء الليلة .. يشترك في الندوة .. السادة .. اللواء حامد حامد رئيس الجماعة ، والملازم بحري ياسر ياسر .. ثم يعقب الندوة عرض سينمائي للمهرجان الدولي لطوابع البريد .. الندوة عامة .. انقطع نفسه وصعد ..

– مساء الخير يا آنسه ..

– الأستاذ إبراهيم زنوبيا .. طلبت لسيادتك مجلدات " الرسالة " و " الثقافة " للسنوات الثلاث .

– أريدها الآن .. خالص شكري يا آنسه ..

– تفضل إلى مقعدك .. وسوف تصلك بسرعة ..

الصمت .. الضوء المريح هابط من السقف .. رفع رأسه إلى السقف .. ظهرت العذراء في وداعة الحمل بين يديها طفل .. على الجدران .. آنسات عرايا في بحيرة .. نقل خوفو أهرامه الثلاثة وحجب الآنسه ..

– المجلدات يا أستاذ ..

– أشكرك .. !

– أية خدمة أخرى ..

– خذي مني ... !

... لاداعي يا أستاذ ...

– مبلغ تافه على أية حال ... !

وجد نفسه يقلب الصفحات على عجل .. بدأ يحك جلد رأسه من فورة الأفكار، جولة الفنون التشكيلية ، الإفريقيون أحرار في اختيار مصيرهم .. إعلان مهم ، تعد وزارة الثقافة مشروعا مهما لزيادة معدل المطبوعات الأدبية .. تبعا للرطوبة تظهر الحشرات ، والصراصير قطاع عام للحر والبرد ، في دورة المياه ، عند صفيحة القمامة .. هناك مبيد فعال يباع في الصيدليات .. نافذة واحدة كفيلة –مفتوحة – يتسرب عشرات الألوف .. هز الأهرامات .. في وضع مسطح .. ظهرت الآنسه تجادل .. نظرات ممنوعة .. الآنسه ، السقف مع مريم .. الأرض تدب عليها أقدام بدبابيس .. حوار مفتوح أمام كتاب تمزق .. على المائدة المقابلة .. بضعة شبان .. لا داعي للعد والحساب .. في شبه محكمة تعرت الآنسة كثيرا .. قالت : ملعون الشغل وصاحبه .. مقعد خال مجاور .. الطفل في ذيل أمه الداخلة إلى القاعة .. إفريقيا بكامل هيئتها .. جئت أسمر .. شكل قومي .. رسم جلدي .. جئت أسمر .. مر خيال على صفحة الكتاب ..

– كيف حال الأستاذ ؟!

– هه .. آه أنت ؟!

– هل تحتاج إلى شيء آخر .. ؟!

– لا .. أبدا !

– خدماتك كثيرة يا آنسة نادية .. !

نام على صدر مريم .. عزف الإفريقيون طبول الحرب .. مد يده المعروقة إلى صلعته .. مسحها وقال آه ..

– مالك نمت .. ؟!

– هه .. آه .. أنت أيضا .. كنت أفكر .. لم أنم ..

– فنجان قهوة يقظة لك ..

– خدماتك كثيرة يا نادية ..

– لأنك تستحق كل خير ..

– من ؟ .. أنا .. ؟ .. أنا أستحق ..؟!!

المنظر : بهو فاخر عريض .. على اليمين مقعد خال فوقه تاج من الذهب ، على الأرض امرأتان جميلتان في حالة سجود أمام المقعد ، على الطرف اليساري .. الباب وأمامه حارسان .. أحدهما عجوز والآخر شاب .. تتدلى من السقف نجفة تساوي مليون جنيه ..

سلطان : (الحارس العجوز) تأخر وصول مولانا ..

عصام : (الحارس الشاب) علينا أن ننتظر ..

سلطان : هذا كل ما في الأمر ..

ماجدة : (وهي ساجدة) الصلاة قائمة .. لا كلام .. !

نادية : شيء لا يطاق ..

عصام : صبرا .. صبرا .. (ويدور في البهو) .

ماجدة : مولانا لا ذنب له ..

عصام : العيب فينا نحن .. أليس كذلك .. ؟ ..

ماجدة : طبعا .. !

عصام : فاهم ! (يعود إلى حراسته عند الباب)

سلطان : سوف يعطيكم طلباتكم فور وصوله ..

نادية : أنا ساجدة ..

سلطان : (بألم) الحاجة تفتق الحيلة ..

ماجدة : لمن هذا الكلام .. ؟!

عصام : ليكن لي ..

نادية : جئت أطلب منه تعيين ابني مديرا لإحدى الشركات .. ليس ابني حقيقة .. لكنه أخي وقد ربيته أنا .. الطيران لا بأس .. لم أتزوج بعد .. الطيران عمل مهم .. وليجعل مني ..

ماجدة : (بامتعاض) حتى أنت .. ؟

نادية : كلامه نافذ المفعول .. فلماذا لا أطلب .. ؟!

ماجدة : الطمع .. !

نادية : اسكتي .. يا أنانية ..

ماجدة : حياتنا ملكه ..

سلطان : (يغادر المكان) لحظة من فضلكم ..

عصام : تفضل . (يتابع باهتمام نادية وماجدة) .

ماجدة : أشم رائحة (تنهض واقفة)

نادية : لا رائحة .. !

عصام : لا رائحة إلا للمسك في هذا المكان .

ماجدة : أشم رائحة ..

نادية : جنون طبعا .. !!

ماجدة : (تعود إلى حالة السجود) حاستي قوية .

نادية : هذا مرض .. !

ماجدة : اخرسي !!

نادية : يا حارس مولانا ..

عصام: (يقترب منهما) نعم !

نادية : هل سمعت إهانتها ؟

عصام : (يرجع إلى الباب) أنتم سجود ..

نادية : قل لها .. .. هذا الكلام ..

سلطان : (يدخل مسرورا) سيصل مولانا بعد قليل .

عصام : ماذا يفعل ؟!

سلطان : عندما دخلت عليه كان يتفرج على مباراة للكرة .. ثم نهض وراح ينظم قصيدة تشجيع .. !

نادية : عاد .. لجنونه ..

ماجدة : (ترفع رأسها بتحد) لا تسبوا سيدكم .

عصام : (يضحك) هاها ..

نادية : بعد ليلة أخرى .. سأطلب منه عمارة وسيارة .. و ..

عصام : (يضحك عاليا) .. هاها ..

نادية : يا حارس مولانا ..

سلطان : لا صلاة لمتكلم ..

ماجدة : قل لها .. !

سلطان : بعد كل هذه السنين .. لا تعرفن كيف تسجدن ..

ماجدة : حفظتها كلها.

نادية : لي معه صلاة أخرى .. في مكان آخر ..

عصام (يدور حول نفسه) الصلاة الأخرى .. أشفع ..

نادية : أأنت متزوج ؟

عصام : عندي ناهد .. !

ماجدة : تأخر وصول مولانا ..

سلطان : أخبرته .. فقال لي : السجود الطويل رحمة .

ماجدة : (ترفع رأسها بفرح) أحقا قال ؟

سلطان : نعم !

نادية : (لعصام) يا حارس .. ما رأيك في السجود الآخر ؟

عصام : عندي ناهد .. لا مثيل لها ..

نادية : (هامسة) أنا لا مثيل لي ..

زنوبيا : (يدخل فجأة في ثياب فاخرة مرصعة تيجان ونياشين تسبقه روائح ومبخرة في يد غلام) رعيتي .. !

سلطان : (مفزوعا .. وقد رفع سيفه إلى أعلى .. تحية استقبال) مولاي .. !

عصام : (يفعل مثل سلطان) مولاي ..

زنوبيا : (يتقدم إلى المقعد الخالى .. يجلس على العرش وقد وضع التاج على رأسه) هل اختاروني أميرا على الشعراء .. ؟!

الحاضرون : (في صوت واحد) نعم !

زنوبيا : وهل أنتم راضون عني ؟

الحاضرون : نعم !

ماجدة : (في حالة خشوع مطلق) سبحانك.. سبحانك ..

زنوبيا : خذوا حذركم ..

الحاضرون : يا ألطاف الله ..

زنوبيا : انظروا إلى تاجي ..

الحاضرون : (يتطلعون إليه جميعا وفي صوت واحد) نحن رهن إشارتك..

زنوبيا : أنا أمير الشعراء ..

الحاضرون : نعم !!

ماجدة : بكل فخر .. بكل فخر ..

زنوبيا : أنا إبراهيم زنوبيا ..

الحاضرون : لا جدال ..

ماجدة : ومولانا ..

نادية : (في صوت خافت) .. وكلب ..

زنوبيا : كل قصائدي في السوق .. بجميع اللغات ..

الحاضرون : بالتأكيد .. !!

ماجدة : حفظنا كل حرف .. كلمة .. كلمة ..

زنوبيا : كل شعراء الدنيا طظ ..

زنوبيا : أنا أمير من سبقني .. ومن سيأتى ..

الحاضرون : طبعا .. طبعا .. !

ماجدة : معقول جدا .. !

نادية : (في صوت ضعيف) آه .. يا كلب ..

زنوبيا : منذ متى والصلاة قائمة ..؟!

سلطان : ساعات .. وساعات .. وساعات ..

زنوبيا : إذن .. أعطوهم آمالهم .

عصام : كل آمالهم .. ؟!

زنوبيا : أعطوهم .. !

سلطان : آخرون في الخارج ينتظرون دورهم .. !

زنوبيا : لابأس ..

ماجدة : لا صلاة إلا لك .. لك المجد يا مولاي ..

نادية : (بحركة عصبية مفاجئة .. تقف مذعورة) ملعون أبوك .. يا مولاهم.

زنوبيا : (مضطربا) أنا ؟!

نادية : نعم أنت !

زنوبيا : (ينادي) يا حراس .. !

سلطان : (في صوت واحد) نعم يا مولاي ..

عصام : .....

زنوبيا : هذه إعدام .. بلا حس ولا حركة

نادية : (تحاول الهروب فلا تقدر .. يمسكها سلطان) اتركوني .. دعوني .. لا

شأن لكم ..

عصام : ما رأي مولاي في المحاكمة .. ؟!

زنوبيا : المحاكمة ؟!

سلطان : الممثلون عندنا كثيرون ..

زنوبيا : أعطوها الدور .. !

ماجدة : حتى لا يظن أحد بك سوءا .. هذا حسن جدا ..

زنوبيا : نفذوا الأمر .. !

سلطان : أمر مولانا !!

رنت الساعة العاشرة في مكتب شركة الطيران .. لا حس .. لا خبر .. اطمأن لحظة .. رفع كوب الشاي وسكب نهايته في جوفه .. مرارة .. انتشرت في صدره .. هب مذعورا .. فتح فمه وصرخ .. ثم أفرغ ما في بطنه على مكتب الطيران الأنيق .. حاول أن لا ينادى زميله الواقف في الخارج .. فسقط عند الباب

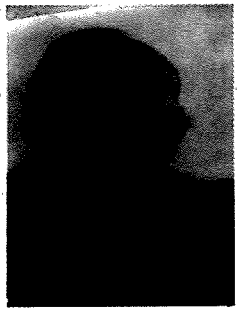

محمود عوض عبد العال

* أسس مجلة (أقلام الصحوة) للأدباء والفنانين التشكيليين بالإسكندرية من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٤ وقدمت السلسلة الأدبية عدداً كبيراً من الأدباء والفنانين.

* أشرف على مجلة (فن وأدب) عن المركز القومى للثقافة والفنون التشكيلية بالإسكندرية لمدة عام واحد ١٩٧٩ .

* كرم فى المؤتمر الثالث لأدباء الأقاليم عام ١٩٨٧ جائزة الرواية.

* خصص فصل فى دراسة (الراوى وتقنيات القص) وهى رسالة للدكتوراة من جامعة الأزهر كلية اللغة العربية للدكتورة عزة عبداللطيف عامر.

* عدد خاص (ملف) تيار الوعى وجنوح التجربة -مجلة الثقافة الجديدة ١٩٩٣ .

* بناء الزمن فى الرواية العربية المعاصرة أ. د. مراد عبد الرحمن مبروك ١٩٩٨ الهيئة العامة للكتاب.

* تأثير تقنية تيار الوعى ممثلة فى أعمال جيمس جويس وفرجينيا وولف على أعمال (محمود عوض عبد العال) -ماجيستير- قسم اللغة الإنجليزية- آداب المنيا للأستاذ (ديفيد فايز).

* (محمود عوض عبد العال قاصاً) رسالة ماجيستير فى الأدب والنقد من كلية الدراسات العربية والإسلامية -جامعة الأزهر حصلت عليها الباحثة (حنان شعبان الزينى) عام ٢٠١٤ .

كتب صدرت للمؤلف:

١ – رواية (سكر مر) ١٩٧٠ عن سلسلة كتابات معاصرة، وطبعة ثانية عام ١٩٨٤ عن الهيئة العامة للكتاب.
٢ – مجموعة قصص (الذى مر على المدينة) دار المعارف ١٩٧٤ .
٣ – رؤية تشكيلية (فى صحن مصر) ١٩٧٨ جماعة أقلام الصحوة.
٤ – رواية (عين سمكة) ١٩٨٠ دار الكاتب– بيروت. وط٢ مكتبة الأسرة– الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٤ .
٥ – مجموعة قصص (علامة الرضا) ١٩٨٣ المجلس الأعلى للثقافة.
٦ – مجموعة قصص (حس البيت) ١٩٨٤ المجلس الأعلى للثقافة.
٧ – مجموعة قصص (تحت جناحك الناعم) ١٩٨٤ دار أبها للنشر – السعودية.
٨ – رواية (قارىء فى الشارع) ١٩٩٥ الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٩ – رؤية مسرحية (القلب الشجاع) ١٩٩٩ الملتقى المصرى للإبداع.
١٠ – رحلة المائة عام فى الحركة النقابية لعمال مصر ١٩٩٩ دار أخبار اليوم.
١١ – رواية (الزجاج فى دمى) ٢٠٠٠ الهيئة العامة للكتاب.
١٢ – مجموعة قصص (عدى النهار) ٢٠٠٧ الهيئة العامة للكتاب.

هذه الرواية

تجرى أحداث رواية «سكر مر» أو قل تداعيات أحداثها فى وعى أبطالها خلال فترة زمنية وجيزة، ساعة ونصف فقط، بينما أحداث ملحمة (چويس) المشهورة (يوليسيس) تجئ خلال فترة يوم واحد.. والحيز الزمنى المحدود فى (سكر مر) هو زمن ارتشاف بطلها لكوب الشاى.. تتحرك الرواية بأحداثها مع محافظة الكاتب على تثبيت نقطة ارتكاز واقعية تمثل اللازمة الخارجية التى يعود إليها البطل بين آونة وأخرى .

.. إننا نستطيع أن نلمس براعة فنية فى تحريك الشخصيات ودقة بالغة فى إدارة الحوار، وغوصا عميقا على أكثر الأحاسيس شفافية واستعصاء على الرؤية، وعنصرا دراميا يشعر القارئ بأن الأحداث تتحرك فى اتجاه مرسوم.. حاملة القارئ إلى الإحساس الشامل بما جرى فى نكسة مصر عام ١٩٦٧.

.. وكما ذكرت الدراسات النقدية والأكاديمية عن اعتبار رواية (سكر مر) هى أول رواية عربية تجرب تيار الوعى بشكل لافت ورائد فى هذا المجال وتستحق أن يؤرخ لها بهذا السبق.

كتاب الهلال يقدم:

فلسفة الصيام
بين القرآن والعلم

د. محمد فتحي فرج

يصدر: ٥ يوليو ٢٠١٥

سلسلة روايات الهلال تقدم:

في عشق جيفارا

للروائية الكوبية: آنا ميناندس

ترجمة: محمد عيد إبراهيم

تصدر: ١٥ يوليو ٢٠١٥

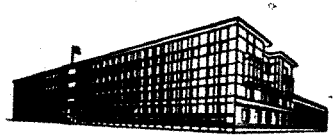

الطباعة: مؤسسة دار الهلال - القاهرة

محمود عوض عبد العال سكرتير مصر (روايات الهلال) العدد ٧٩٦ يونيو ٢٠١٥ ٨ جنيهات

روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع

تذوق متعة القراءة مع
أحلى القصص، وأجمل الروايات

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج م ع ، 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850